تذكرة في طريق المغفرة

وفاء بنت يحيى بن بدوي

غفر الله لها ولوالديها ولجميع المسلمين

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

اهداءات ٢٠٠٢

دار الايمان

تذكرة في

طريق المغفرة

جمع وترتيب

وفاء بنت يحيى بن بدوى

غفر الله لها ولوالديها

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل

إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى في شعبان ١٤١٩هـ
الطبعة الثانية في ذي القعدة ١٤١٩هـ.
الطبعة الثالثة في جمادي آخر ١٤٢١هـ.

رقم الإيداع ٤٩١٩ / ٩٨

الترقيم الدولى

٨/٣٨/٥١٩١/ ٩٧٧

البريد الإلكترونى
E-Mail:DAR_ALEMAN@hotmail.com

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المقدمة :

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [١] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١) ﴾ [٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) ﴾ [٣] .

وبعد :

فإن الشرع الحكيم جاء ليرشد الإنسان إلى كل ما فيه نفعه ومصلحته فى الدنيا والآخرة ، ويحذره من كل ما يَضُرّ به فى دينه ودنياه ، ولذلك فإن التذكرة الدائمة تجعل الإنسان يعيش دائماً فى صلة مع الله ، فيحيا بنور البصيرة فى طاعة الله وفى حب الله ، فيكون منهجه كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ ، فمن كان هذا دأبه فقد فاز ، وأما من فقد البصيرة ، وابتعد عن منهج الله وسُنة رسوله ، واتبع هواه فقد خسر وخاب .

لقد صارت حياة الناس مادية بعيدة كل البعد عن منهج الإيمان وعن

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٠٢ » .
(٢) سورة النساء الآية « ١ » .
(٣) سورة الأحزاب الآية « ٧٠ ، ٧١ » .

معرفة ربهم ، كالجسد بلا روح .

أصبحوا ولا هم لهم إلا الدنيا وزينتها ، فانحرفت الفطرة السليمة ، وضاعت الأخوة ، وقطعت الأرحام ، وكثر الظلم والجور والبغى ، وامتلأت النفوس بالحقد والكره والحسد .

وتركوا لأنفسهم العنان دون مجاهدة ولا مراقبة ، واتبعوا أهوائهم ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فأضلهم وأعمى أبصارهم فحق فيهم قول ربهم ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [(١)] .

إن التذكرة بمنهج الله سبحانه وتعالى الذى خلقنا وهو يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، إن هذا المنهج يحقق للناس الأمان والحب والرحمة ، ويحببهم فى الخير وفى العفو عن زلات الآخرين .

فكانت التذكرة طريقاً واضحاً وسريع الوصول إلى رحمة الله عز وجل ومغفرته ، والتذكرة التى أعنيها هى كيف يتذكر الإنسان الله سبحانه وتعالى وهو فى كل أحواله وخاصة فى حالة الغضب والشدة ، وكيف يتصرف وماذا يعمل وماذا يقول ، ليكون ممن قال الله تعالى فيهم ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [(٢)] ، إنها من أشد المواقف للتذكرة ،

---

(١) سورة الزخرف الآيات « ٣٦ ، ٣٩ » .

(٢) سورة آل عمران الآية « ١٣٤ » .

فكيف تكون الإعانة على ذلك إنها من خلال تدبر آيات الله :

١ - ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ ﴾ [(١)] .

٢ - ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾ [(٢)] .

٣ - ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [(٣)] .

٤ - ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ [(٤)] .

٥ - ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [(٥)] .

٦ - ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [(٦)] .

٧ - ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾ [(٧)] .

والله أسأل أن أكون فى عملى هذا موفقة لحُسن النية متبعة لسيد البشرية ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلم ، اللهم تقبل منى ومن كل من ساهم فى هذه الرسالة ، جزاهم الله خير الجزاء ، اللهم تقبل منا واغفر لنا وارحمنا ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

وفاء بدوى

غفر الله لها ولوالديها

(١) سورة الشمس الآيات « ٧ ، ٨ » .

(٢) سورة المطففين الآية « ٦ » .

(٣) سورة الفرقان الآية « ٣٧ » .

(٤) ، (٥) سورة آل عمران الآية « ١٣٤ » .

(٦) سورة ص الآية « ٢٩ » .

(٧) سورة الذاريات الآية « ٥٥ » .

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) ﴾[1] .

إن الله سبحانه يدعو عباده إلى تقواه وخوفه يدعوهم إلى نهي النفس عن الهوى ، ويحذرهم من النفس ، فإنها تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا ، إن الناس فى سيطرة أنفسهم عليهم قسمان :

إن الناس على قمسين : أولاً قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته ، وصار طوعاً لها تحت أوامرها ، وترك أوامر الله تعالى واتبع نواهيه .

ثانياً : وقسم ظفروا بنفوسهم فقهروها فصارت طوعاً لهم منقادة لأوامرهم ، وقال بعض العارفين : انتهى سفر الطالبين إلى الظفر ، فمن ظفر بنفسه أفلح ونجح ، ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك ، قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) ﴾[2] .

والقلب بين الداعيين يميل إلى هذا الداعى مرة وإلى هذا مرة ، وهذا موضع المحنة والإبتلاء ، وقد وصف الله سبحانه النفس فى القرآن بثلاث صفات : المطمئنة ، واللوامة ، والأمارة بالسوء ، فاختلف الناس : هل النفس واحدة وهذه أوصاف لها ، أم للعبد ثلاثة أنفس ؟ .

هل النفس واحدة أم ثلاثة :

والتحقيق أنها واحدة باعتبار ذاتها وثلاثة باعتبار صفاتها .

---

(١) سورة الشمس الآيات « ٧ ، ٨ » .

(٢) سورة النازعات الآيات « ٣٧ ، ٤١ » .

أولاً : النفس المطمئنة : إذا سكنت النفس إلى الله عز وجل واطمأنت بذكره ، وأنابت إليه ، واشتاقت إلى لقائه ، وأنست بقربه ، فهى مطمئنة ، وهى التى يقال لها عند الوفاة ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ [1] ، فإذا اطمأن العبد من الشك إلى اليقين ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الغفلة إلى الذكر ، ومن الخيانة إلى التوبة ، ومن الرياء إلى الإخلاص ، ومن الكذب إلى الصدق ، ومن صولة العجب إلى ذلة الإخبات ، ومن التيه إلى التواضع ، فعند ذلك تكون نفسه مطمئنة .

وأصل ذلك كله هى اليقظة التى كشفت عن قلبه سِنَةَ الغفلة ، وأضاءت له قصور الجنة فصاح قائلاً :

ألا يانفس وَيحَكِ ساعدينى　　بسعى منك فى ظلم الليالى
لعلك فى القيامة أن تفوزى　　بطيب العيش فى تلك العلالى

فرأى فى ضوء هذه اليقظة ما خُلق له ، وما سيلقاه بين يدى الله ، ورأى سرعة انقضاء الدنيا وقلة وفائها لبنيها ، فنهض فى ذلك الضوء على عزمه قائلاً : ﴿ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ [2] ، فاستقبل بقية عمره مستدركاً مافات مستغفراً من الجنايات والتقصير فى الحقوق والواجبات ، مفكراً فى وفور نعمة ربه عليه ، ويرى أنه آيس من حصرها وعدها ، عاجز عن أداء حقها ، ويرى فى تلك اللحظة عيوب نفسه ، وآفات عمله ، فتنكسر نفسه وتخشع جوارحه ، فهذه آثار اليقظة وموجباتها ، وهى أول منازل النفس المطمئنة

---

(١) سورة الفجر الآيات « ٢٧ ، ٢٨ » .
(٢) سورة الزمر الآية « ٥٦ » .

التى ينشأ منها سفرها إلى الله والدار الآخرة .

ثانياً : النفس اللوامة : قالت طائفة : هى نفس المؤمن ، قال الحسن البصرى إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائماً ، يقول : ما أردت من هذا ؟ ، لم فعلت هذا ؟ ماكان هذا أولى من هذا ؟ ، أو نحو هذا الكلام ، وقالت طائفة أخرى اللوم يوم القيامة ؛ فإن كل أحد يلوم نفسه يوم القيامة ، إن كان مسيئاً على إساءته ، وإن كان محسناً على تقصيره .

ثالثاً : النفس الأمارة بالسوء : هى النفس المذمومة ، فإنها تأمر بكل سوء فما تخلّص أحد من شرها ، إلا بتوفيق الله ، كما قال تعالى حاكياً عن امرأة العزيز ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [١] ، وكان ﷺ يعلمهم خطبة الحاجة ، إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا [٢] .

فالشر كامن فى النفس ، وهو يوجب سيئات الأعمال ، فإذا خلى الله بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها ، وما تقتضيه من سيئات الأعمال ، وإن وفقه الله وأعانه نجا من ذلك كله .

وخلاصة القول : إن النفس واحدة تكون أمارة ، ثم لوامة ، ثم مطمئنة ، فالنفس المطمئنة هى غاية كمالها وصلاحها ، وأما النفس الأمارة فجعل الشيطان قرينها ، وصاحبها الذى يليها ، فهو يعدها ويمنيها ويقذف فيها الباطل، ويأمرها بالسوء ويزينه لها ، ويطيل فى الأمل ، ويريها الباطل فى صورة

---

(١) سورة يوسف الآية « ٥٣ » .
(٢) رواه أبو داود ٢١١٨ النكاح ، وقال الألبانى : صحيح ، وانظر رسالته : خطبة الحاجة للألبانى حفظه الله .

تقبلها وتستحسنها ، وأصعب شيء على النفس المطمئنة تخليص الأعمال من الشيطان ومن الأمارة ، ولكن مع الجد والاجتهاد والإخلاص فى العمل ، والصبر الجميل المطمئن ، الذى لا يصاحبه السخط ولا القلق ، ولا الشك فى صدق وعد الله ، صبر الواثق من العاقبة ، الراضى بقدر الله ، الشاعر بحكمته من وراء الابتلاء ، الموصول بالله المحتسب كل شيء عنده ، حينئذٍ يهون كل شيء والله المستعان .

محاسبة النفس :

إن علاج استيلاء النفس الأمارة بالسوء على قلب المؤمن محاسبتها والتضييق عليها ، وسؤالها عن كل قول وعمل ، وجماع ذلك أن يحاسب المرء نفسه أولاً على الفرائض ، فإن تذكر فيها نقصاً تداركه بالإصلاح ، ثم يحاسبها على المناهى فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والإقلاع والحسنات الماحية ، ثم يحاسب نفسه على الغفلة ، فإن كان قد غفل عما خُلِق له تداركه بالذكر والإقبال على الله تعالى .

ثم يحاسبها بما تكلم به ، أومشت به رجلاه ، أو بطشت به يداه ، أو سمعته أذناه ، ماذا أردت بهذا ، ولم فعلته ، ولمن فعلته ، وعلى أى وجه فعلته ، ويعلم أنه لا بد أن يسأل عن الإخلاص، وعن كل شيء ، قال تعالى: ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ﴾ [1] ، فإذا سئل الصادقون عن صدقهم ، وحوسبوا على صدقهم ، فما الظن بالكاذبين .

إن المؤمن يجب عليه أن يعرف حق الله تعالى عليه ، فإن ذلك يورثه مقت

---

(١) سورة الأحزاب الآية « ٨ » .

نفسه ، والإزراء عليها ، ويخلصه من العجب ورؤية العمل واليأس من نفسه ، حينئذ يعلم أن النجاة لا تحصل له إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته ، فإن من حقه سبحانه أن يطاع فلا يعصى ، وأن يُذكر فلا يُنسى ، وأن يُشكر فلا يُكفر .

إن ترك المحاسبة ، والاسترسال مع النفس وهواها وتسهيل الأمور وتمشيتها ، فإن هذا كله يؤول به إلى الهلاك ، وهذا حال أهل الغرور ، يغمض الواحد عينيه عن العواقب ويتكل على العفو ، فيهمل محاسبة نفسه والنظر فى العاقبة ، فإذا فعل ذلك سهل عليه مواقعة الذنوب ، وأنس بها وعسر عليه فطامها ، ومن لم يطّلع على عيوب نفسه لم يمكنه إزالتها .

قال الحسن رحمه الله : رحم الله عبداً وقف عند همه [(١)] ، فإن كان لله أمضاه ، وإن كان لغيره تأخر .

كيفية التعامل مع النفس :

كثيراً ما يرتبط فى وعينا أن أى شيء ينبغى أن نؤديه يعتبر واجباً ، والواجب تكليف ، وبالتالى تكتنفه المشقة ، وقد يكون الأمر كذلك بالنسبة لطفل يذهب إلى المدرسة ، حيث لم يكتمل وعيه بعد فيما يتعلق بما هو مكلف به من واجب منزلى ومذاكرة سيسأل عنهما فى اليوم التالى .

أما بالنسبة للكبار فالأمر جد مختلف لأن الإنسان المدرك يحقق ذاته من خلال ما يؤديه ولو كان واجباً ، وما يحقق به الإنسان ذاته يعتبر مصدراً للمتعة أو ينبغى أن يكون ، لأن الله الذى خلق الإنسان هو الذى يعلم ما يحقق سعادته ومتعته وهذه هى الفطرة .

---

(١) همه : إرادته .

إن الإنسان منا لابد وأن يرتقى بنفسه ، وقد أراد الله سبحانه وتعالى له أن يكون سيد نفسه وآمراً لها ، فهو وصى عليها ومسئول عنها ، وإذا لم يأخذ الإنسان مسئوليته عن نفسه ، مأخذ الجد ، فإنه يطمعها ويفسدها مثلما يفسد الأب أو الأم طفلهما من التدليل والاستجابة إلى كل رغباته وطلباته ، فيكبر الطفل وقد تعود على أن يجاب له كل ما يطلبه ، ولا يقبل فى ذلك إرجاء أو إلغاء ، هذا الابن المدلل يعتبر فى عداد المفقودين الهالكين ، ولن ينصلح له حال « إلا من رحم ربك » ، هكذا الانسان مع نفسه ، إذا استجاب لكل ما تطلبه أو تشتهيه ولم يمارس دوره فى الوصايا عليها والحد من جموحها خاب وخسر ، قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝ ﴾ [1] .

والنفس تميل إلى الجنوح والجموح « النفس الأمارة » تجنح كالسفينة عن الخط الذى ينبغى أن تسير فيه ، وتجمح كالحصان الذى لم يحسن صاحبه ترويضه وتدريبه ، النفس فيها هاتان الخصلتان فهى نزاعة للهوى ، وصاحبها إن لم يقاوم هذا الميل فيها ، جنحت وجمحت وأصبحت لا سيطرة له عليها ، وهنا تكون الكارثة ، فتورده نفسه موارد التهلكة وتخسره دنياه وآخرته .

ترويض النفس وتحديها :

إن ما أعلمنا به الله يكفينا لكى نتبع الصراط المستقيم الذى يوصلنا إلى مرضاة الله عز وجل ، والنجاة من شرور الدنيا ومنزلقاتها الخطيرة والفوز بجنة الخلد فى الآخرة .

---

(١) سورة الشمس الآيات « ٧ ، ١٠ » .

وأهم شيء يعنينا هنا هو جهاد النفس وكيفية التعامل معها ، والتعامل معها يبدأ بترويضها وتحديها ، وترويضها يحتاج إلى رياضة ، فإننا عند ممارسة أى رياضة لأول مرة ، لابد وأن نحس بتعب شديد وآلام فى العضلات وفى الجسد كله ، ولكن مع الاستمرار فى ممارسة هذه الرياضة يخف هذا الإحساس تدريجياً إلى أن يصبح لا وجود لهذه الآلالم البتة ، وحينئذ تتبدل هذه الآلام بسعادة وصحة وقوة .

ولكن فى بعض الأحيان والمواقف تحتاج النفس إلى كبح جماحها ، وتحديها وأخذها بالشدة ، والتحدى هنا يشبه المبارزة ، قد تأخذ جولة واحدة أو جولات ، وفى النهاية إما أن ينتصر الإنسان أو ينكسر وينهزم ، والغريب أن النجاح يتحقق للإنسان ونفسه معاً إذا انتصر الانسان على نفسه وهواها وقهرها ، والفشل يكون للإنسان ونفسه جميعاً إذا انتصرت نفسه ، وسيطرت عليه ، أى أن النفس تنجيها خسارتها ، ويشقيها فوزها ، شيء يدعو إلى التأمل ، والإنسان حين يدخل مع نفسه فى مبارزة فقد ينهيها لصالحه وينتصر عليها حين يمتنع عن الاستجابة لها فى شيء تتمناه بشدة ، مثل أن يتعرض الإنسان لظلم أو إهانة من إنسان آخر قريب أو غريب ، فتتأجج نفسه ناراً يشعلها ويزيد فى إشعالها الشيطان بحجة الكرامة والكبر وأحقية القصاص ، ولكن رجاؤه فى مغفرة الله واحتياجه الأكيد لها وثقته التامة بأن ما عند الله خير من الدنيا وما فيها ، ويتذكر قول الله تعالى ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [1] ، يجعله ذلك يكظم غيظه ويقهر نفسه قائلاً إنى أريد أن يغفر الله لى ،

---

(١) سورة الشورى الآية « ٤٠ » .

ويتذكر قول الله تعالى : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(١)] ، إذا هى فرصة يستغلها ويجعلها رصيداً له فى ميزان حسناته بعفوه عمّن أساء إليه ، أى أن نثبت لله سبحانه وتعالى أن طاعته ومغفرته أحب إلينا من لذة الانتقام الوقتية التى سرعان ما تنتهى مُخلِّفة وراءها مذاقاً مراً من عذاب الضمير والعداوة ، والتعدى والظلم فى الانتقام ، إذ أنه يتعذر على الإنسان أن يضبط الانتقام بقدر الإساءة أو الظلم الواقع عليه ، وذلك لأن الشيطان لن يتركه أبداً .

إنه شعور ممتع :

إن فى حياتنا أمور كثيرة يمكننا أن نتحدى أنفسنا فيها وننتصر عليها ، ولو هُزِمْنَا مرة أو مرات فليس فى ذلك نهاية الدنيا مادمنا أحياء ، إذ يجب علينا أن نكرر المحاولة من جديد ، ولكن بجدية أكثر وخوف شديد من الله ، من غضبه وسخطه وعقابه وانتقامه ، ومن عذاب القبر ومن يوم القيامة وأهواله ، ومن الحساب والميزان ، ومن النار وعذابها ، كل هذه المشاعر لو تحققت فى القلب بصدق وعزيمة لابد وأن تجعلنا نستحق توفيق الله تعالى لنا ، وأن ننتصر على أنفسنا والله المستعان .

إن شعور الإنسان بأنه أصبح سيد نفسه وليس تابعاً لها ولشيطانها ، لهو شعور يملأ النفس غبطة وسرور ، ويشحنها بالثقة المتزايدة والقوة ، فمشكلة الإنسان منا مع نفسه أكثر مما هى مع الظروف من حوله أو مع الآخرين ، إن مشكلته فى كيفية السيطرة على نفسه ، فمتى احتواها وسيطر عليها وأصبحت

---

(١) سورة النور الآية « ٢٢ » .

طوعاً له ، أحس حينئـذ بأنه قادر على أشياء كثيرة لم يكن ليقـدر عليها من قبل ، فيُقبل على طاعات الله بصدر منشرح ونفس مطمئنة وقوة ويقين ، ويفتح الله له من أبواب الجنة فى دار العمل ، فيأتيه من روحها ونسيمها وطيبها مااستفرغ قواه لطلبها والمسابقة إليها ، وكل ذلك بفضل الله وتوفيقه وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة .

وفى حديث مسلم : [**اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها**] [2] .

وبذلك يصل الإنسان بنفسه إلى أن تكون النفس المطمئنة التى يستقبلها ربها بالترحاب يوم القيامة ويدخلها جنته ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾ [3] .

إنى أعلم أن هناك سؤال يدور فى أذهانكم لماذا الكلام عن النفس ولماذا الباب كله ؟ ولكن أرد عليكم إن النفس هى مطية الشيطان الذى يؤجج نار الغضب والعداوة فتكون النفس بذلك هى الحائل دون كظم الغيظ والعفو والحلم والصفح ، وهذا كله هو موضوع الكتاب .

---

(١) سورة النساء الآية « ١٧٥ » .
(٢) صحيح مسلم والنسائى .
(٣) سورة الفجر الآيات « ٢٧ ، ٣٠ » .

﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) ﴾ [١] .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) ﴾ [٢] ، ﴿ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴾ ، أى وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع ﴿ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ ، أى المؤمنون يعتقدون كونه قريباً وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عز وجل ، لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة [٣] .

إن يوم القيامة يوم مروع مشحون بأهواله ومشاهده ، والآيات عن هذا اليوم وأهواله وهمّه وعذابه كثيرة ، ولكننا فى هذا الموقع نكتفى بذكر بعضها لنتعرف على القليل من مشاهد هذا اليوم لنتعظ ونعرف مدى احتياجنا لرحمة الله ومغفرته فى ﴿ يَوْمَ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) ﴾ [٤] .

من آيات مشاهد القيامة :

قال تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢) ﴾ [٥] ، أى إذا أظلمت الشمس واضمحلت ، وطمست هذا بالنسبة لضوئها وشكلها ، أما حرارتها فسوف تضاعف وتضاعف ، قال رسول الله ﷺ : [تدنى الشمس

---

(١) سورة المطففين الآية « ٦ » .
(٢) سورة المعارج الآيات « ٦ ، ٧ » .
(٢) تفسير ابن كثير
(٤) سورة الحج الآية « ٢ » .
(٥) سورة التكوير الآيات « ١ ، ٢ » .

يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم بمقدار ميل] [(١)] .

وقال تعالى : ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾ ، أى انتثرت وتبعثرت كما قال تعالى ﴿ وإذا الكواكب انتثرت (٢) ﴾ [(٢)] ، أى تناثرت نجوم السماء من فوقهم ، وقال تعالى : ﴿ إذا رجت الأرض رجا (٤) وبست الجبال بسا (٥) فكانت هباء منبثا (٦) ﴾ [(٣)] ، ثم انشقت فوق رؤوسهم السماء كما قال تعالى : ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان (٣٧) ﴾ [(٤)] ، فياهول صوت انشقاقها فى سمعهم ﴿ وردة كالدهان ﴾ ، قال مجاهد : أحمر كألوان الدهان .

وقال تعالى : ﴿ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة (١٤) ﴾ [(٥)] ، فتخيل حمل الأرض والجبال ونفضها ودكها دكة واحدة ، تسوى عاليها بسافلها مشهد مروع ! الأرض التى يمشى عليها الإنسان مطمئناً ، وهى تحته مستقرة مطمئنة ، والجبال الراسية الراسخة التى تهول الإنسان بضخامتها ، هذه مع هذه تحمل فتدك دكاً كالكرة فى يد الصبى ، ولله المثل الأعلى ، إنها حقيقة أخبرنا بها العليم القدير .

كل هذه الآيات تؤكد اختلال الكون فى هذا اليوم ، اختلال روابطه وضوابطه التى تمسك به ، فتتناثر أجزاؤه بعد انفلاتها من قيد الناموس [(٦)] ، الكونى ، كل هذا الهول والفزع والرعب وجميع ذلك بعينك وعين كل أهل

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى باب صفة القيامة

(٢) سورة الانفطار الآية « ٢ » .

(٣) سورة الواقعة الآيات « ٥ ، ٦ »

(٤) سورة الرحمن الآية « ٣٧ » .

(٥) سورة الحاقة الآية « ١٤ » .

(٦) القانون الكونى .

الموقف .

إنه حدث عظيم يصيب الجبال فيذهب بثباتها فيزلزلها زلزالاً شديداً ، ويصيب الشمس فتكور ، والنجوم فتنكدر ، وكل ذلك من أهوال يوم القيامة ، جزء من هذه الأهوال ، وليس الكل ، هل نستطيع أن نتخيل هذا الجزء من خلال هذه الآيات ؟ كيف لنا هذا وصوت الرعد إذا اشتد يفزعنا ، وإذا وقع زلزال يرعبنا ، فما بال ذلك الهول .

ألم يأن لنا أن نستعد ونتزود بزاد الآخرة بالعبادات والطاعات ، ونتوجه إلى الله وندعوه أن يتقبل منا ويخفف عنا من هذا العذاب ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [1] ، وفى تفسير ابن كثير يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ، أى تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ، إلا أربع سنين [2] .

﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) ﴾ [3] :

حقاً إلى أى مدى ضآلة الإنسان : وضآلة عالمه إلى جانب هذه القدرة القادرة ، أين جاهه وماله ؟ أين كبرياؤه وقدرته ؟ ، أين بطانته وحاشيته ؟ قال

---

(١) سورة الحديد الآية « ١٦ »
(٢) رواه مسلم ، وأخرجه النسائى عند تفسير هذه الآية
(١) سورة عبس الآية « ٣٧ »

تعالى : ﴿ ولا يسأل حميم حميما (١٠) يبصرونهم ﴾[١] ، إن الناس فى هم شاغل ، لا يدع لأحد منهم أن يلتفت خارج نفسه ولا يجد فسحة فى مشاعره لغيره ، فلقد قطع الهول المروع جميع الوشائج[٢] ، والصلات ، وحبس النفوس على همها لا تتعداه ، إنهم ليعرضون بعضهم على بعض ﴿يبصرونهم ﴾ ، ولكن لكل منهم همه ، ولكل ضمير شغله ، فلا يهجس فى خاطر صديق أن يسأل صديقه عن حاله ، وقد يراه فى أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره ، ولا يتصور أن يسأل أحداً أن يعينه ، فالكرب يلف الجميع ، والهول يغشى الكل .

وقال تعالى : ﴿ يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه (١١) وصاحبته وأخيه (١٢) وفصيلته التي تؤويه (١٣) ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه (١٤) ﴾[٣] ، أى فما بال المجرم الظالم لنفسه ؟ إن الهول ليأخذ بحسه ، وإن الرعب ليذهب بنفسه ، وإنه ليود لو يفتدى من عذاب يومئذ بأعز الناس عليه ، ممن كان يفتديهم بنفسه فى الحياة الدنيا ، ويناضل عنهم ، ويعيش لهم ، ببنيه ، وزوجته ، وأخيه ، وعشيرته القريبة التى تؤويه وتحميه ، بل إن لهفته على النجاة لتفقده الشعور بغيره على الإطلاق ، فيود لو يفتدى بمن فى الأرض جميعاً ثم ينجيه ... إنه الفزع المذهل والرغبة الجامحة فى الإفلات .

﴿ كلا إنها لظى (١٥) ﴾[٤] :

وبينما المجرم فى هذا الحال ، إذ يسمع ما ييئس ويقنط من كل بارقة من أمل ، أو كل حديث خادع من النفس ، كما يسمع الملأ جميعاً حقيقة الموقف وما يجرى فيه ﴿ كلا إنها لظى (١٥) نزاعة للشوى (١٦) تدعو من أدبر

---

(١) سورة المعارج الآيات « ١٠ ، ١١ »
(٢) وشائج جمع وشيجة ، الوشيجة = الرحم المشتبكة المتصلة
(٣) سورة المعارج الآيات « ١١ ، ١٤ »
(٤) سورة المعارج الآية « ١٥ »

وتولَّىٰ ﴿١٧﴾ وجمع فأوعىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [(١)] ، كلا إنها أمانى مستحيلة ، الإفتداء بالبنين والزوجة والأخ والعشيرة ، ومن فى الأرض جميعاً ﴿ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴾ ، ناراً تتلظى وتتحرق ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ ، تنزع الجلود عن الوجوه والرؤوس نزعاً ، وهى غول مفزعة ، ذات نفس حية تشارك فى الهول والعذاب ﴿ تدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وتولَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ ، تدعوه كما كان يُدعى من قبل إلى الهدى ، والإستسلام لله ، والرضا بقضائه فيدبر ويتولى ! ويلهو ويستزيد من الدنيا دون أى اكتراث للآخرة ، ولكنه اليوم إذ تدعوه جهنم لا يملك أن يدبر ويتولى ، ولقد كان من قبل مشغولاً عن الدعوة بجمع المال والسعى وراء الجاه ، وبالدنيا وزينتها ومباهجها ، وبالنفس وهواها !! .

فأما اليوم فالدعوة من جهنم لا يملك أن يلهو عنها ولا يملك أن يفتدى بما فى الأرض كله منها !! ، هذا هو المجرم الذى ظلم نفسه ولم يفكر فى آخرته ليعمل لها .

﴿ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [(٢)] :

قال تعالى : ﴿ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [(٣)] .

بعد كل هذه الآيات ، يغمر الجلال المشهد ويغشيه ، وتسكن الضجة التى تملأ الحس من النفخة والدكة والتشقق ، والانتشار ، يسكن هذا كله ويظهر

---

(١) سورة المعارج الآيات « ١٥ ، ١٨ »
(٢) سورة المعارج الآية « ١٥ »
(٣) سورة العارج الآيات « ١٦ ، ١٨ »

عرش الواحد القهار ، والملائكة على أرجاء هذه السماء المنشقة وأطرافها ، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) ﴾ [(١)] .

الكل مكشوف ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً** [(٢)]] قلت : يارسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟ ، قال : [**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**] [(٣)] .

الكل مكشوف ، مكشوف الجسد ، مكشوف النفس ، مكشوف الضمير ، مكشوف العمل ، مكشوف المصير ، تسقط جميع الأستار التى كانت تحجب الأسرار ، وتتعرى النفوس تعرى الأجساد ، ويتجرد الإنسان من حيطته ومن مكره ، ومن تدبيره ، ومن شعوره ، ويفتضح منه ماكان حريصاً على أن يستره حتى عن نفسه ، ما أقسى الفضيحة على الملأ ، أما عين الله سبحانه وتعالى فكل خافية مكشوفة لها فى كل آن ، ولكن الإنسان لا يشعر بهذا حق الشعور، فهو مخدوع فى الأرض ، ولكنه يشعر به كاملاً وهو مجرد فى يوم القيامة .

كل شىء فى الكون بارز ، الأرض مدكوكة مسواة لا تحجب شيئاً وراء نتوء ولا بروز ، والسماء متشققة واهية لا تحجب وراءها شيئاً ، والأجسام معراة لا يسترها شىء والنفوس مكشوفة ليس فيها سر أمام تلك الحشود الهائلة من خلق الله من الإنس والجن والملائكة ، وكل ذلك تحت جلال الله سبحانه وتعالى وعرشه المرفوع فوق الجميع .

---

(١) سورة الحاقة الآية « ١٨ »
(٢) غرلاً : غير مختونين
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة

﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ ﴾ [١] :

قام الناس وطال قيامهم ، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، أقل ماقيل في قيامهم مقدار أربعين عاماً إلى ثلثمائة عام ، وأياما كان ، فاليوم يسعه ﴿ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ ﴾ [٢] ، وهم فى قيامهم ذلك فى ظلمة وفى تفسير ابن كثير : قال الإمام أحمد عن المقداد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل ، أو ميلين ، قال : فتصهرهم الشمس فيكونون فى العرق كقدر أعمالهم ، ومنهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من يأخذه إلى حقويه ومنهم من يلجمه إلجاماً**] [٣] .

ما هذا كله فقد نسيته :

قال تعالى : ﴿ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝ ﴾ [٤] ، تصوروا إذا تطايرت الكتب ونصبت الموازين ، وقد نودى أحدنا باسمه على رؤوس الخلائق: أين فلان بن فلان ؟ هلم إلى العرض على الله تعالى ، وقد وكلت الملائكة بأخذك ، فقربتك إلى الله ، لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم أبيك .

إذا عرفت أنك أنت المراد بالنداء يوم ينادى على الخلائق ، إذا قرع النداء قلبك ، فعلمت أنك أنت المطلوب ، فارتعدت فرائصك [٥] ، واضطربت

---

(١) سورة المطففين الآية « ٦ »
(٢) سورة المعارج الآية « ٤ »
(٣) رواه مسلم عن الحكم بن موسى عن يحيى بن حمزة ، والترمذى عن ابن المبارك ، وأحمد
(٤) سورة القيامة الآية « ١٠ »
(٥) الفرائص جمع فريصة ، الفريصة لحمه بين الجنب والكتف ، أو بين الثدى والكتف

جوارحك ، وتغير لونك ، وطار قلبك .

تخطى بك الملائكة الصفوف إلى ربك للعرض عليه ، والوقوف بين يديه ، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم ، وأنت فى أيدى الملائكة ، وقد اشتد رعبك لعلمك أين يراد بك .

تصور نفسك وأنت بين يدى ربك فى يدك صحيفة مخبرة بعملك ، لا تغادر بلية ولا سراً ، وأنت تقرأ ما فيها بلسان كليل ، وقلب منكسر ، والأهوال محدقة بك ، من بين يديك ومن خلفك ، فكم من بلية قد كنت نسيتها — ذكرتها ، وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قدظهرت ، وكم من عمل ظننت أنه خلص لك فردّه عليك وأحبطه بعد أنه كان أملك فيه عظيما فياحسرة قلبك ، ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : [**يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدى به ؟ فيقول نعم ، فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك**] (١) ، وفى رواية : [**فيقال كذبت قد سئلت أيسر من ذلك**] (٢) ، وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٥٤)** ﴾ (٣) .

ولكننا مازلنا أحياء أمامنا الفرص فلنتدارك ما فاتنا ونعمل بطاعة الله ونسعى

---

(١) ، (٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً
(٣) سورة يونس الآية « ٥٤ »

إلى حبه وغفرانه ورحمته ورضاه ، ومن طاعات الله التى أعلمنا بها فى آيات القرآن الكريم ، أن نكظم الغيظ ، وأن نعفو ونصفح لنستحق غفرانه ورحمته ، قال تعالى . ﴿ وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ﴿١٤﴾ ﴾ [١] .

أعلمنا هذا وأعلمنا أيضاً مدى الهول والرعب والعذاب ، وأنه لولا عفوه وغفرانه لهلكنا وأن عفوه وغفرانه مقابل عفونا فى هذه الدنيا وغفراننا وصفحنا عمن يؤذينا أو يظلمنا ، فكان لابد وأن نتذكر هذا اليوم يوم القيامة والحساب ، لندرك ونفكر ونعمل ونغفر .

---

(١) سورة التغابن الآية « ١٤ »

﴿ وَأَعْتَدْنَا للظَّالمين عَذَابًا أَليمًا (٣٧) ﴾ [١] .

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**] [٢] ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) ﴾ [٣] .

قال الطبرى : لا تحسبنه إذا أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم لا يعاقبهم على صنعهم ، ولا تحسبن يا محمد الله ساهياً عما يعمل هؤلاء الظالمون ، بل هو عالم بهم وبأعمالهم يحصيها عليهم ويعدها عليهم عداً ، ليأخذهم الأخذة الأخيرة ، التى لا إمهال بعدها ولا فكاك منها ، إن تأخير العذاب عنهم ليس للرضا بأفعالهم ، بل سنة الله سبحانه فى إمهال العصاة والظالمين إلى يوم تشخص فيه أبصار الخلق من شدة الأهوال يوم القيامة ، وهذا وعيد للظالم وتعزية للمظلوم .

وقال تعالى : ﴿ ومن يَظْلم مّنكُمْ نُذقْهُ عذابًا كبيرًا (١٩) ﴾ [٤] وقال تعالى : ﴿ وسيعْلَمُ الَّذين ظَلمُوا أيَّ مُنقلبٍ ينقلبُون (٢٢٧) ﴾ [٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْنَا للظَّالمينَ عذابا أليمًا (٣٧) ﴾ [٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمنين والْمُؤْمنات بغيْر ما اكْتسَبُوا فقد احْتملُوا بُهْتَانًا وإِثْمًا مُّبينًا (٥٨) ﴾ [٧] ، والآيات عن الظلم والوعيد للظالمين كثيرة ويكفينا هذا القدر لنعلم أن الله

---

(١) سورة الفرقان الآية « ٣٧ »
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى باب تحريم الظلم ، صحيح البخارى باب الظلم ظلمات يوم القيامة
(٣) سورة إبراهيم الآية « ٤٢ » (٤) سورة الفرقان الآية « ١٩ »
(٥) سورة الشعراء الآية « ٢٢٧ » (٦) سورة الفرقان الآية « ٣٧ »
(٧) سورة الأحزاب الآية « ٥٨ »

سبحانه وتعالى إنما يملى للظالم ولن يفلته والله أعلم ، وأنه من يأتى ربه مظلوماً يكون أجره على الله لو احتسب ذلك ، خير له من أن يأتيه ظالماً حتى وإن كان هذا الظلم وقع أثناء رد مظلمة ، فهو ظالم يحاسب عليه ، والله أعلم عافانا الله من الظلم .

الأحاديث الشريفة :

أما الأحاديث الشريفة فى هذا الموضوع فهى أيضاً كثيرة وإلينا بعضها :

فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : [**إن الله ليُملي للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته**] ، ثم قرأ النبى ﷺ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [1] .

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**] [2] ، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها ، بل هو قصاص مقابلة ، والجلحاء التى لا قرن لها والله أعلم .

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ **قال** : [**أتدرون من المفلس ؟** ، قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : **إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من**

---

(١) سورة هود الآية « ١٠٢ » .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى باب تحريم الظلم ، وصحيح مسلم ٢٥٨٢ / ٦٠ باب البر والصلة .

حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار] [(١)] ، قال النووى : إن المفلس من أمتى .. إلخ : معناه أن هذا هو حقيقة المفلس ، وأما من ليس له مال ، ومن قل ماله ، فالناس يسمونه مفلساً ، وليس هذا هو حقيقة المفلس ، لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته ، وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك فى حياته ، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور فى الحديث ، فهو الهالك الهلاك التام ، والمعدوم الإعدام المنقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه ، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضعت عليه ، ثم ألقى فى النار ، فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه .

عن الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : [**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلِمُهُ ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كَربة فرج الله عنه بها كربة من كُرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة]** [(٢)] .

فلنتحلل من المظالم اليوم :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه** [(٣)] **أو شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه]** [(٤)]

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى باب تحريم اللظم ، وصحيح مسلم ٢٥٨٢ / ٦٠ باب البر والصلة .

(٢) متفق عليه ، صحيح البخارى ، باب لا يظلم مسلم مسلم ولا يسلمه ، وصحيح مسلم بشرح النووى

(٣) العرض ما يمدح ويذم من الإنسان سواء كان فى نفسه أو سلفه أو من يلزمه أمره ، والعرض أيضاً النفس ، والعرض أيضاً الجسد

(٤) صحيح البخارى ، باب من كان له مظلمة عند رجل

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : [**إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا** [١] **أُذن لهم بدخول الجنة ، فوالذى نفس محمد ﷺ بيده لأحدهم أهدى** [٢] **بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان فى الدنيا**] [٣] .

من حديث جابر رفعه عن رسول الله ﷺ : [**لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده مظلمة حتى يقصه منه ، حتى اللطمة** ، قلنا يارسول الله : كيف وإنما نحشر حفاة عراة؟ **قال : بالسيئات والحسنات**] [٤] .

عن عمرو بن نفيل أن رسول الله ﷺ قال : [**من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين**] [٥] ، وفى رواية : [**من أخذ شبراً من الأرض بغير حق طوقه الله فى سبع أرضين يوم القيامة**] [٦] .

وفى حديث أبى سعيد عن النبى ﷺ : [**إن الله يقول : لا يجاوزنى اليوم ظلم ظالم**] [٧] .

---

(١) نُقُّوا : أى تخلصوا مما فى نفوسهم

(٢) أهدى : أعرف بطريق منزله .

(٣) أخرجه البخارى فى الرقاق باب القصاص يوم القيامة برقم ٦٥٣٥

(٤) أخرجه الحاكم وأحمد ذكر فى فتح البارى ح ١ / ٩٣٧

(٥) ، (٦) صحيح مسلم بشرح النووى باب تحريم الظلم وغضب الأرض وغيرها ، البخارى ٤٢٥٢ ، مسلم ١٦١٠

(٧) فتح البارى ١١ / ٤٠٤ ٤٠٥

تعظيم حق المسلم :

عن أبى أُمامة أن رسول الله ﷺ قال : [**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة**] ، فقال رجل : وإن كان يسيراً يارسول الله ؟ قال ﷺ : [**وإن قضيباً من أراك**[١]] [٢]

إن هذه العقوبة لمن اقتطع حق مسلم ومات قبل التوبة ، أما من تاب وندم على فعله ورد الحق إلى صاحبه وتحلل منه وعزم على أن لا يعودِ فقد سقط عنه الإثم والله أعلم ، وفى هذا الحديث بيان غلظ تحريم حقوق لمسلمين ، وأنه لا فرق بين قليل الحق وكثيره ، لقوله ﷺ : [**وإن قضيباً من أراك**] عود مسواك ما أصغره وما أقل ثمنه ولكنه حق لصاحبه .

إن من عظمت عنده حقوق الآخرين مع تنوعها : من أمانة أؤتمن عليها ، ومن مشاركة هو شريك فيها مؤتمن على أعمالها وأموالها من الشركاء ، ومن عمل يعمله ويتقاضى أجره وعليه تأدية هذا العمل على أكمل وجه ، ومن قرض استقرضه وعليه تأديته ، ومن حقوق ومعاملة وعشرة مع والدين وأرحام وجيران وأصدقاء ورؤساء ومرءوسين ، فإن من عظمت الحقوق عنده ، وقام بواجبها ، ورعاها حق رعايتها ، واستعظم إضاعتها ، وعلم أن أى تفريط فى أى حق من الحقوق فهو ظلم يحاسبه الله عليه ، وعلم وتيقن ما قاله الله تعالى : ﴿ وإن كَانَ مثْقَالَ حبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِهَا وَكَفَى بنا حَاسِبِينَ ﴾ [٣] ، كان من المتقين المحسنين الناجين يوم القيامة .

---

(١) شجرة المسواك
(٢) صحيح البخارى ، وصحيح مسلم « ١٣٧ »
(٣) سورة الأنبياء الآية « ٤٧ »

ترويع المسلم :

إن أنواع الظلم كثيرة ممكن أن تتمثل فى غالبية حياتنا حتى وإن إيذاء مشاعر المسلم أو ترويعه فهو ظلم ، عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يضعها ، وإن كان أخاه لأبيه وأمه**] [(١)] ، قال الحافظ فى الفتح : قال ابن العربى : إذا استحق الذى يشير بالحديدة اللعن ، فكيف الذى يصيب بها ؟ وإنما يستحق اللعن إذا كانت إشارته تهديداً سواء كان جاداً أم لاعباً ، وإنما أُخذ اللاعب لما أدخله على أخيه من الروع ، ولا يخفى أن إثم الهازل دون إثم الجاد . أ .هـ .

قال المناوى :

من أشار إلى أخيه أى أخيه فى الإسلام والذى فى حكمه بحديدة : يعنى بسلاح كسكين وخنجر وسيف ورمح ونحو ذلك من كل آلة للجرح ، فإن الملائكة تلعنه : أى تدعو عليه بالطرد والبعد عن الجنة وعن الرحمة الكاملة .

قال النووى :

فيه تأكيد لحرمة المسلم والنهى الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما يؤذيه وإن كان أخاه لأبيه وأمه ، مبالغة فى إيضاح عموم النهى فى كل أحد سواء كان هزلاً ولعباً أم لا ، لأن ترويع المسلم حرام بكل حال ، ولعن الملائكة له يدل على أنه حرام .

عن خالد بن الوليد عن النبى ﷺ قال : [**أشد عذاباً للناس فى الدنيا**

---

(١) صحيح البخارى ، وصحيح مسلم « ٢٦١٦ » .

أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة] [١] ، قال المناوى : « عذاباً للناس فى الدنيا » أى بغير حق سواء كان العذاب مادياً أو معنوياً ، أى إيلام بدنى أو نفسى ، فكما تدين تدان ، وذلك مع الفارق بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

يقول ابن الجوزى :

اعلم أن الجزاء بالمرصاد إن كانت حسنة أو سيئة ، ومن الاغترار أن يظن المذنب إذا لم ير عقوبة أنه قد سومح ، وربما جاءت العقوبة بعد مدة ، وقل من فعل ذنباً إلا قوبل عليه ، وقال الله تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ﴾ [٢] ، إن آدم لم يسامح بلقمة ، ودخلت النار امرأة فى قطة .

وأنت :

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى ... درج الجنان ونيل فوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدما ... منها إلى الدنيا بذنب واحد

للظالمين يقول ابن الجوزى :

قال تعالى : ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾ [٣] ، يا هذا ، ظلمك لنفسك غاية فى القبح ، ألا إن ظلمك لغيرك أقبح ، ويحك إن لم تنفع أخاك فلا تؤذه ، وإن لم تعطه فلا تأخذ منه ، لا تشابهن الحية ، فإنها تأتى إلى الموضع الذى قد حفره غيرها فتسكنه ، فالتقط خير الخلال وخل خسيسها [٤] .

---

(١) صحيح : رواه أحمد فى مسنده ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، والحاكم فى المستدرك ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ١٠٠٩

(٢) سورة النساء الآية « ١٢٣ »

(٣) سورة العنكبوت الآية « ٤٠ »

(٤) المدهش لابن الجوزى ص ٥٥٠ ، ٥٥١ .

ذهبت لذّات الظالمين بما ظلموا وبقى العار ، وداروا إلى دار العقاب ، وملَكَ الغير الدار ، وخلُّوا بالعذاب فى بطون تلك الأحجار ، فلا مغيث ولا أنيس ، ولا رفيق ولا جار .

أما علموا أن الله جار المظلوم ممن جار ، فإذا قاموا يوم القيامة زاد البلاء على المقدار .

ألم تروا أيها المظلومون أن نكل الظالم لظلمه ، وأن نثق فى عدل الله وما أعلمنا فى عاقبة الظلم ، ونفكر فى أنفسنا ونعفوا ونصفح ونتوكل على الله ، ومن تمام عدله سبحانه وتعالى أنه لا يحاسب الناس إلا بعد قيام الحجة عليهم فيوقنون يومئذ من ظلمهم ومن استحقاقهم للعذاب ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) ﴾[1] .

عاقبة الظلم :

لقد فهمنا من شناعة الظلم وقبح عاقبته ، وما ورد من الوعيد الشديد على مرتكبه ، وأن من مات قبل رد المظالم أحاط به يوم القيامة خصماؤه ، فهذا يأخذ بيده ، وهذا يقبض على ناصيته ، وهذا يمسك يده ، وهذا يتعلق بلبته ، وهذا يتعلق برقبته .

وهذا يقول : ظلمنى فغشنى، وهذا يقول : ظلمنى فبخسنى ، وهذا يقول : خدعنى، وهذا يقول: قذفنى ، وهذا يقول : أكل مالى ، وهذا يقول : شتمنى ،

(١) سورة الكهف الآية « ٢٩ » .

وهذا يقول : اغتابنى ، وهذا يقول : كذب علىّ ، وهذا يقول : قطع رحمى ، وهذا يقول : جاورنى فأساء مجاورتى ، وهذا يقول : رآنى مظلوماً فلم ينصرنى ، وهذا يقول : رآنى على منكر فلم ينهنى ، وهذا يقول : خاصمنى وهجرنى ، وهذا يقول : مطلنى حقى ، وهذا يقول : باعنى وأخفى عنى عيب السلعة ، وهذا يقول : شهد علىّ بالزور ، وهذا يقول : سخر منى .

وهذه زوجة تقول : لم يعدل بينى وبين زوجته الأخرى ، وهذه تقول : أكل صداقى ، وهذه تقول : لم يعاملنى بالحسنى ، وهذه تقول : لم يتق الله فى معاملتى وقطع المودة والرحمة من البيت .

وهذا زوج يقول : لم تتق الله فى معاملتى ، وهذا يقول : لم تطعنى ، وهذا يقول : كانت تهجر فراشى ، وتأبى علىّ ، وهذا يقول : تعدى على محارمى ، وهذا يقول : نشز زوجتى .

وهذه تقول : نشز زوجى ، وهذا يقول : غدر بى ، وهذا يقول : خاننى ، وهذا يقول نجش [1] علىّ فى السلعة التى أريد شراءها ، وهذا يقول كادنى ، وهذا يقول : منعنى النوم من مذياعه وتلفازه ، وهذا يقول : اقتص منى فجار علىّ وسبّنى واغتابنى .

فبينما أنت على تلك الحال المخيفة ، التى لا تشاهد فيها إلا كثرة المظلومين ، وأنت مبهوت متحير مضطرب من كثرتهم ومطالبتهم ، حتى لم يبق أحد ممن جالستهم أو عاملتهم وصاهرتهم أو شاركتهم إلا وقد استحق

---

(١) نجش علىّ فى السلعة : زاد علىّ فى ثمن السلعة ليغرينى بالزيادة على ما ذكرت .

عليك مظلمة وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت يدك إلى مولاك ، لعله يخلصك من أيديهم ، فلا تسمع إلا ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ﴾ [١] ، فعند ذلك ينخلع قلبك وتضطرب أعضاؤك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار ، وتذكر ما أنذرك الله تعالى ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [٢] .

فيالها من مصيبة ، وما أشدها من حسرة فى ذلك اليوم إذا جاء الرب جلّ وعلا للفصل بين عباده بحكمه العدل ، وعلم الظالم أنه فقير عاجز مهين لا يقدر على أن يرد حقاً ، أو يظهر عذراً ، فعند ذلك تؤخذ حسناته التى تعب عليها فى عمره ليلاً ونهاراً ، حضراً وسفراً ، وتنقل إلى الخصماء عوضاً عن حقوقهم فيالها من حسرة عظيمة .

فلينظر العاقل إلى المصيبة فى مثل ذلك اليوم ، ربما لا يسلم له فى شىء من الحسنات ، فإن سلم شىء ابتدره الخصماء وأخذوه فكيف تكون حال من رأىٰ صحيفته خالية من حسنات طالما تعب فيها ، فإذا سأل عنها قيل له : نقلت إلى صحيفة خصمائك الذين ظلمتهم .

وترى صحيفتك مشحونة بسيئات القوم الذين طالما تمضمضت بهتك أعراضهم ، وتناولت أموالهم وشتمتهم ، وقصدتهم بالسوء ، وحقدت عليهم ، ونحو ذلك من أنواع الظلم ، مع أن منهم من ظلمنى ولكن اقتصصت منه فَجُرْتُ عليه وشتمته واغتبته وظلمته ، ياليتنى عفوت عنه وصفحت ، لقد

---

(١) سورة غافر الآية « ١٧ » .
(٢) سورة الشورى الآية « ٤٤ » .

ذكّرنى الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم ، ولكنى أبيت إلا القصاص فأصبحت ظالماً بدلاً من أن أكون مظلوماً ، ياحسرتى على ما فرطت .

قال علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه : « يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم » .

سمع مسلم بن بشار رجلاً يدعو على من ظلمه فقال له : « كل الظالم إلى ظلمه فهو أسرع فيه من دعائك » .

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ [1] .

لا يخلوا إنسان من الغضب ، والله عز وجل يغضب ، ولا يحذر سوء غضبه إلا الخائفون ، ورسول الله ﷺ كان يغضب ، فأصل الغضب لا يعتبر عيباً ولا يعتبر وجوده مرضاً ، ولكن هناك غضب فى الباطل لا يصح ، وهناك غضب ظالم ، فهذا الذى لا يصح ، وهناك تسرع فى الغضب وبطء فى الفىء [2] ، فذلك لا يصح ، وهناك تصرفات أثناء الغضب لا يقرها شرع أو عقل فهذا لا يصح .

ومن هنا كان الكلام فى الغضب يحتاج إلى تفصيل : إن الله سلط على بنى آدم الشهوات والأهواء وأمرهم بترك ما حرم منها ، وابتلاهم بالغضب وكلفهم بكظم الغيظ فيما يغضبون ، ثم حفهم بالمكاره واللذات وحذرهم وتركهم لينظر كيف يعملون .

الغضب :

إن الغضب شعلة من نار ، والشيطان خلق من النار ، فمن استفزته نار الغضب قرب من الشيطان ، فإن الغضب فى غير محله هو أصل المشاكل ولا تستقيم معه حياة اجتماعية ، ولا علاقة صحيحة ، فغضبة واحدة قد تفسد علاقة بين جار وجار ، وزوج وزوجة ، وبين شريك وشريكه ، وبين أخ وأخ ، غضبة واحدة قد تفسد جماعة بأسرها فتصدع صفها ، وتعرقل أعمالها ، غضبة

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٣٤ » .
(٢) فيئاً : رجع ، فاء عن غضبه ، فاء إلى حلمه ، رجع عن غضبه إلى حلمه .

واحدة قد تفسد علاقة بين دولة ودولة ، وقد تؤدى إلى حرب .

فإذا أصبح الغضب جزءاً من حياة الإنسان فعندئذ يكون ما يُخربه أكثر مما يعمره ، وقد يخرب ولا يعمر ، وأول ما يعود الضرر يعود على نفسه .

لذلك كان لابد من السيطرة على الغضب من أجل الدنيا والآخرة ، فقد يدخل الغضب صاحبه النار ، وقد يفسد عليه أمر دنياه ، فلذلك كان لابد من كظم الغيظ .

كظم الغيظ :

أصل الكظم أن تُملأ القربة وتُربط ، وقد كانت القربة وعاء نقل الماء عند العرب ، وهى من جلد مدبوغ فإذا ملأت القربة بالماء شُدَّ على رأسها أى ربط رأسها ربطاً محكماً بحيث لا يخرج شىء مما فيها ، ويقال عن هذا الفعل كظم القربة ، أى ملؤها وربطها ، والقربة لينة وعندما توضع على ظهر الرجل أو على ظهر الدابة فمن ليونتها تخرج الماء فتكظم وتربط بإحكام كى لا يخرج منها شىء .

ليس كظم الغيظ وحده يكفى :

كذلك الغيظ يفعل فى النفس البشرية ، فإنه يهيجها ، والله لا يمنع الهياج فى النفس لأنه انفعال طبيعى ، والانفعالات الطبيعية لو لم يردها الله تعالى لمنع أسبابها فى التكوين الإنسانى ، إنما هو يريدها لأشياء ، مثلاً الغريزة الجنسية ، هو يريدها لبقاء النوع ، ويضع من التشريع ما يهذّبها فقط ، وكذلك انفعال الغيظ ، إن الإسلام لا يريد من المؤمن أن يصب فى قالب من حديد لا عواطف له – لا – إنما هو سبحانه يريد للمؤمن أن ينفعل للأحداث أيضاً ، ولكن الانفعال المناسب للحدث ، الانفعال السامى ، الانفعال المثمر ، ولا يأتى

بالانفعال المدمر ، وعلى هذا فكظم الغيظ رده فى الجوف ، يقال : كظم غيظه أى سكت عليه ولم يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى كظم الغيظ من صفات المؤمنين المحسنين ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾ (١) .

إن كظم الغيظ هو المرحلة الأولى ، وهى وحدها لا تكفى ، فقد يكظم الإنسان غيظه ليحقد ويضغن ، ويتحول الغضب الظاهر إلى حقد دفين ، وهذا مذموم ، إن الغيظ والغضب لأنظف وأطهر من الحقد والضغن ، ولذلك تستمر الآية لتقرر النهاية الطليقة لذلك الغيظ الكظيم فى نفوس المتقين ، إنها العفو والسماحة والانطلاق .

إن للغيظ شدة على النفس وصعوبة حين تكظمه وشواظ يلفح القلب ، فأما حين تصفح النفس ويعفو القلب ، فذلك هو الانطلاق السريع من هذه الشدة والرفرفة فى آفاف النور والرحمة ، برد فى القلب ، سلام وراحة فى الضمير لها حلاوة فى النفس وسعادة ، إنها حلاوة الطاعة والإيمان ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، الذين يجودون بالمال فى السراء والضراء محسنون ، والذين يجودون بالعفو والسماحة بعد الغيظ والكظم محسنون ... ، ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، ومن حب الله للإحسان وللمحسنين ، ينطلق حب الإحسان فى قلب أحبائه وتنبثق الرغبة الدافعة فى هذه القلوب ، فليس هو مجرد تعبير ولكنها الحقيقة التى يعشيها المحسنين ، مغفرة ورحمة وجنة عرضها

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٣٤ » .

السموات والأرض ، تشيع فيها السماحة واليسر وليس فيها مكان للحقد ولا للغيظ ولا للضغينة .

ما هو الغضب :

إنه إذا غضب أحد اشتعلت نار الغضب وثارت ثورانا يغلى به دم القلب وينتشر فى العروق ، ويرتفع إلى أعمال البدن ، كما ترتفع النار ، وكما يرتفع الماء الذى يغلى فى القدر ، والسبب فى ذلك أن الغضب مخلوق من النار ، والنار شأنها التلظى والاستعار والاتجاه إلى أعلى ، وقد عجنت هذه النار بالطين الذى هو أساس خلق الإنسان حتى يتمكن الجسم من احتمالها ، وعند اندفاع الدم إلى أعالى البدن ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه والعين وتنتفخ الأوداج [(١)] ، والبشرة لصفائها تحكى لون ما ورائها من حمرة الدم ، كما تحكى الزجاجة لون ما فيها .

وبالجملة ، فقوة الغضب محلها القلب ، ومعناها : غليان دم القلب بطلب الانتقام ، وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها ، وإلى التشفى والانتقام بعد وقوعها ، والانتقام هو غذاء قوة الغضب وشهوتها وفيه مُتعتها ، ولا تسكن إلا به ، ثم إن الناس فى هذه القوة على درجات ثلاثة من التفريط والإفراط والاعتدال :

أولاً : أما التفريط : فيفقد هذه القوة تماماً أو ضعفها وذلك مذموم ، وهو الذى يقال فيه إنه لا حمية له ، ولذلك قال الشافعى رحمه الله : « من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استُرضى فلم يرض فهو شيطان » .

---

(١) الودج : عرق فى العنق وهما ودجان « الأوداج العروق » .

فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلاً فهو ناقص جداً ، وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبى ﷺ بالشدة والحمية فقال : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) ، وقال لنبيه ﷺ : ﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٢) ، وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب .

ثانياً : الاعتدال : ويكون ذلك بإخضاع شهوة الغضب للعقل والدين دون تجاوز ، بحيث تنبعث حين يكون الغضب مطلوباً وبالقدر المطلوب له ، وتسكن حين يكون الحلم مطلوباً ، أى تثور عند الحاجة وتسكن عند الضرورة ، فتؤدى المطلوب منها دون إفراط وتفريط .

ثالثاً : الإفراط : ويكون ذلك بزيادتها عن حدها ، فتثور حيث لا يجب أن تثور ، أو تتجاوز حدها المرسوم لها ، فتخرج عن حد الاعتدل ، وتؤدى إلى الرعونة والتهور ، ويصعب السيطرة عليها ، فلا تخضع لعقل أو دين ، مما يفقد الإنسان معه بصيرته ، فتخرج أفعاله عن نطاق الترتيب والانتظام ، كما تخرج أقواله عن حدود الأدب واللياقة ، وما رسمه الإسلام من حدود للتخاطب والكلام والأفعال .

الوصية النبوية الجامعة [لا تغضب] :

ونموذج الكمال فى الرضا والغضب هو رسول الله ﷺ ، وكان من أخلاقه أنه لا يغضب لنفسه أبداً ، وكان من وصفه أنه لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، وكان ﷺ لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله ، فلا يقوم لغضبه شىء .

---

(١) سورة الفتح الآية « ٢٩ »

(٢) سورة التوبة الآية « ٧٣ » .

عن عبد الله بن عمرو : أنه سأل رسول الله ﷺ : ماذا ينقذنى من غضب الله ؟ قال ﷺ : [**لا تغضب**] [(١)] .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال : يارسول الله مرنى بعمل وأقلل ، قال ﷺ : [**لا تغضب**] ، فردده مرار ، قال : [**لا تغضب**] [(٢)] .

عن سلمان بن صرد قال : استب رجلان عند النبى ﷺ فجعل أحدهما تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه ، قال رسول الله ﷺ : [**إنى لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذى يجد ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم** ، فقال الرجل : وهل ترى بى من جنون] [(٣)] .

قال النووى فى شرحه : فيه أن الغضب فى غير الله تعالى من نزع الشيطان ، وأنه ينبغى لصاحب الغضب أن يستعيذ فيقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وأنه سبب لزوال الغضب ، وأما قول هذا الرجل الذى اشتد غضبه : هل ترى بى من جنون ، فهو كلام من لم يفقه فى دين الله ، ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة ، وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالجنون ، ولم يعلم أن الغضب من نزعات الشيطان ، ولهذا يخرج به الانسان عن اعتدال حاله ، ويتكلم بالباطل ويفعل المذموم ، وينوى الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح المترتبة على الغضب ، ولهذا قال النبى ﷺ للذى قال له أوصنى : [**لا تغضب**] ، فردد مراراً قال : [**لا تغضب**] ، فلم يزده فى الوصية على لا

---

(١) أخرجه الطبرانى فى مكارم الأخلاق ، وابن عبد البر فى التمهيد بإسناد حسن ، وهو عند أحمد وإن عبد الله بن عمرو هو السائل .

(٢) صحيح البخارى باب الحذر من الغضب ، صحيح البخارى (١٠ / ٥٣٥) رقم ٦١١٦ ، الترمذى ٣٧١/٤ رقم ٢٠٢٠ وأحمد (٢ / ٤٦٦) .

(٣) صحيح البخارى باب الحذر من الغضب ، فتح البارى ٤٧٩/١٠ ، صحيح مسلم بشرح النووى باب وبأى شيء يذهب الغضب .

تغضب مع تكراره الطلب ، أى ردد السؤال يلتمس أنفع من ذلك أو أبلغ أو أعمّ ، فلم يزده النبى ﷺ على قوله : [**لا تغضب**] .

قال الخطابى : معنى قوله : [**لا تغضب**] اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه .

وقيل معناه : لا تفعل ما يأمرك به الغضب .

وقال ابن التين : جمع ﷺ فى قوله : [**لا تغضب**] خير الدنيا والآخرة ، لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق ، وربما آل أن يؤذى المغضوب عليه فينتقص ذلك الدين .

وقال البيضاوى : لعله لما رأى أن جميع المفاسد التى تعرض للإنسان إنما هى من شهوته وغضبه ، وأنه إذا ملك نفسه عند حصول الغضب كان قد قهر أقوى أعدائه ، ويحتمل أن يكون من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى لأن أعدى عدو للمرء شيطانه ونفسه ، والغضب إنما ينشأ عنهما ، فمن جاهدهما حتى يغلبهما مع ما فى ذلك من شدة المعالجة ،كان لقهر نفسه عن الشهوة أيضاً أقوى .

قال النووى : وهذا دليل ظاهر فى عظيم مفسدة الغضب وما ينشأ منه ، ويحتمل أن هذا القائل : هل ترى بى من جنون ، كان من المنافقين أو من جفاة الأعراب ، والله أعلم .

وفى الحديث المتفق على صحته : [**الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم**] (١) .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الأحلام ٢١ ، وبدء الخلقه ١١ واعتكاف ١١- ١٢ ، ورواه أبو داود فى كتاب الصوم ٧٨ ، أدب ٨١ ، ورواه ابن ماجه فى كتاب الصوم ٦٥ .

آثار الغضب :

إنه من الأسباب الاعتيادية التى تساعد على الإفراط ، فهو أن يخالط قوماً يتبجحون بتشفى الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية ، فيقول الواحد منهم : أنا الذى لا أصبر على المكر ولا أطيق التحايل ، ولا أحتمل من أحد أى إهانة ، ولا أتلقى من أحد أمراً ! ، ومعناه : لا عقل فىّ ولا حلم ، ثم يذكر ذلك فى معرض الفخر بجهله ، فمن سمعه رسخ فى نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم ، وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر فى معرض المدح بالشجاعة ، والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر ، فيقوى به الغضب ، وإذا اشتدت نار الغضب وقوى اضطرامها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة ، فإذا وُعظ لم يسمع بل زاده غضباً ، وربما يتعدى إلى جوارحه فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه ، وتسود عليه الدنيا بأسرها ، فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ ، وربما تقوى نار الغضب فيموت صاحبه غيظاً أو يصاب بالشلل ، فهكذا حال القلب عند الغضب .

وبالحقيقة فإن السفينة فى ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح فى لجة البحر أحسن حالاً وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظاً ، إذ فى السفينة من يحاول تسكينها وتدبيرها والسيطرة عليها ، وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذا أعماه الغضب وأصمه .

ومن آثار الغضب فى الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة فى الأطراف ، وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام ، واضطراب الحركة والكلام ، حتى يظهر الزبد على الأشداق ، وتحمر الأحداق ، وتنقلب المناخر ، وتستحيل الخلقة ، ولو رأى الغضبان فى حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته

واستحالة خلقته ، وقُبْح باطنه أعظم من قبح ظاهره ، فإن الظاهر عنوان الباطن ، وإنما قبحت صورة الباطن أولاً ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانياً ، فَتَغَيُّر الظاهر ثمرة تَغَيُّر الباطن فهذا أثره فى الجسد .

أما أثره فى اللسان فانطلاقة بالشتم والفحش من الكلام الذى يستحى منه ذو العقل ، ويستحى منه قائله عند فتور الغضب ، فيقع بذلك فى محظورات اللسان ، وقد يتخبط فى الكلام بما يضره فى الدنيا ضرراً بليغاً ، لأن الغضب يفقده السيطرة على نفسه فيتكلم بما لا ينبغى أن يتكلم به ويضره دون أن يدرى .

وأما أثره على الأعضاء : فالضرب والتهجم والتمزيق ، والجرح والقتل ، عند التمكن من غير مبالاة ، وقد يهرب المغضوب عليه ، فينقلب الغضب على صاحبه : فيمزق ثوبه ، ويلطم وجهه أو يكسر الأوانى ، ويفعل أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها كأنه يخاطب عاقلاً ، حتى ربما رفسته دابة فيرفس هو الدابة ويقابلها بذلك .

أما أثره فى القلب مع المغضوب عليه : فالحقد والحسد وإضمار السوء والشماته بالمساءات والحزن والسرور ، والعزم على إفشاء السر وهتك الستر والاستهزاء ، وغير ذلك من القبح ، فهذه ثمرة الغضب المفرط .

وأما ثمرة الحمية الضعيفة : فقلة الأنفة مما يؤنف من التعرض للحرم والزوجة واحتمال الذل من الأخساء ، إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة ، يقول النبى ﷺ : [**أتعجبون من غيرة سعد ، أنا أغير منه والله أغير منى ومن غيرته أن حرم الفواحش**] [1] ، وإنما خلقت الغيرة لحفظ

---

(١) أخرجه البخارى ١٢ / ١٨١ ، ومسلم ٢ / ١١٣٦ ، وأحمد ٤ / ٢٤٨ .

الأنساب ، ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب ، ولذلك قيل : كل أمة وضعت الغيرة فى رجالها وضعت الصيانة فى نسائها .

إن من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه ، فإن من وظائف شهوة الغضب أن يغضب الإنسان على نفسه إذا ارتكب محظوراً ، أو عند الميل إلى الشهوات الخسيسة ، فيسلط شهوة الغضب على سائر الشهوات فتكبح جماحها ، ففقد الغضب مذموم ، وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين ، فينبعث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم ، وحفظه على حد الاعتدال ، هو الاستقامة التى كلف الله بها عباده ، وهو الوسط ، وهو الصراط المستقيم ، وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف ، فإن عجز المرء عنه فليطلب القرب منه ، فإنه ليس كل من عجز عن الإتيان بالخير كله ينبغى أن يأتى بالشر كله ، ولكن بعض الشر أهون من بعض ، وبعض الخير أرفع من بعض ، ومع رياضة النفس ومجاهدتها يتدرج بعض الخير هذا إلى الزيادة إلى أن يصبح عمله الخير كله ويترك الشر كله ، فهذه حقيقة الغضب ودرجاته ، والله تعالى من فضله يعطى كل عامل ما عمل له ، وييسر له ما توجه إليه .

الأسباب المهيجة للغضب :

هى الزهو ، والعجب ، والمزاح والهزل ، والتعيير ، والغدر ، وشدة الحرص على فضول المال والجاه ، وهى بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً ، فلابد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها : فينبغى أن تميت الزهو بالتواضع ، والعجب بمعرفتك نفسك ، وتزيل الفكر بالتذكر للأصل الأول : إذ الناس يجمعهم فى الانتساب أب واحد ، وإنما اختلفوا فى الفضل أشتاتاً ، فبنو آدم جنس واحد وإنما الفخر بالفضائل ، والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهى أصلها

ورأسها ، فإذا لم تتخل عنها فلا فضل لك على غيرك .

وأما المزاح : فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التى تستوعب العمر ، ومهما عشت فى طاعات الله فلن تجد وقتاً للمزاح أو الهزل أو التعيير ، وأما شدة الحرص على مزايا العيش ، فتزال بالقناعة طلباً لعز الاستغناء وترفعاً عن ذل الحاجة ، والرضا بما قسمه الله .

وكل خُلُق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات تفتقر فى علاجها إلى رياضة وتحمل مشقة ، ورياضتها بمعرفة قبحها وإثمها ، فترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ، ثم المواظبة على الاعتدال مدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس ، فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل ، وتخلصت أيضاً من الغضب الذى يتولد عنها ، ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همّة ، وتسميته بهذه الألقاب المحمودة جهلاً ، بل هو مرض قلب ، ونقصان عقل وضعف نفس ، وآية ذلك أن المريض أسرع غضباً من الصحيح ، والصبى أسرع غضباً من الرجل الكبير ، والشيخ أسرع غضباً من الكهل (١) ، وذو الخلق السيىء والرذائل القبيحة أسرع غضباً من صاحب الفضائل ، وبالجملة فإن القوى من يملك نفسه عند الغضب ، عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [**ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب**] (٢) ، فيقهرها بحلمه ويصرعها بثباته وعدم عمله بمقتضى الغضب ، كان كالصرعة الذى يصرع الرجال ولا يصرعونه .

---

(١) الكهل من الرجال الذى جاوز الثلاثين وخطه الشيب .

(٢) الحديث متفق عليه أخرجه البخارى باب الحذر من الغضب ، وفتح البارى ٥٣٥/١٠ رقم ٦٦١٤ ، وصحيح مسلم ٤ / ٢٠١٤ .

وقال ابن بطال : فى هذا الحديث أن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو لأنه ﷺ جعل الذى يملك النفس عند الغضب أعظم الناس قوة ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال النبى ﷺ : [**ما تعدون الصرعة فيكم ؟**] قال : قلنا : الذى لا يصرعه الرجال ، قال : [**ليس بذلك ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب**] [1] .

وعن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ [2] ، قال السيد الذى لا يغلبه الغضب .

علاج الغضب :

إنما يعالج الغضب عند هيجانه بمزيج من العلم والعمل :

١ – أن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ، وأن مستقره الآخرة ، وأن الدنيا معبر يُعْبَرُ عليها فيتزود منها قدر الضرورة لأن مازاد على ذلك من متاعها وبالاً عليه ومحل سؤال ... إذ أن من محركات شهوة الغضب وأسباب خروجها عن حد الاعتدال الحرمان مما يُحبُّ ، والحيلولة بينه وبين ما يشتهى ... وكلما زادت محبوباته ومتطلباته من الدنيا عن الضرورات انحطت رتبته ، لأن الحاجة نقص ، والغنى الحقيقى هو الاستغناء عن الشىء وليس حيازته .

٢ – أن يُحسن الظن بالله ، ويعلم أن الخيرة فيما اختاره الله تعالى ، وأن الله لا يقضى له إلا بما فيه الخير ... فما من وصب ولا نصب يصاب به المسلم حتى الشوكة يشاكها إلا ويكفر الله به من سيئاته ، ويرفع من درجاته ، عن أبى سعيد عن أبى هريرة رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : [**ما يصيب**

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى باب من يملك نفسه عند الغضب .
(٢) سورة آل عمران الآية « ٣٩ » .

المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته] [١] ، وعن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : **[ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها]** [٢] ، وعن أبى سعيد الخدرى عن أبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : **[ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه]** [٣] .

وعليه أن يتذكر سلوك الصالحين والسابقين فيقتدى بهم ، فقد شتم رجل سلمان الفارسى فرد عليه قائلاً : إن خفّت موازينى فأنا شر مما تقول : وإن ثقلت موازينى لم يضرنى ما تقول : وردّ أحد الصالحين على من شتمه قائلاً : إن كنت صادقاً فغفر الله لى ، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك .

٣ - أن يتفكر فى عاقبة الغضب ، وأنه إذا أنفذ غضبه فى غيره أورث ذلك العداوة والبغضاء والصراع الذى لا تؤمن عواقبه .

٤ - أن يخوف نفسه عقاب الله تعالى ، وهو أن يقول : قدرة الله علىّ أعظم من قدرتى على هذا الإنسان ، وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما سأل رسول الله ﷺ قائلاً : كيف أتقى غضب الله ؟ فأجابه قائلاً : **[لا تغضب]** [٤] .

نعم لأن الإنسان إذا أنفذ غضبه فى غيره لم يأمن أن ينفذ الله غضبه عليه

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى باب ثواب المؤمن فيما يصيبه .
(٢) صحيح البخارى كتاب المرض وما جاء فى كفارة المرض ، وصحيح مسلم بشرح النووى باب ثواب المؤمن فيما يصيبه .
(٣) صحيح البخارى كتاب المرض وما جاء فى كفارة المرض .
(٤) الإمام أحمد ٢ / ١٧٥ .

يوم القيامة وهو أحوج ما يكون إلى العفو .

٥ - أن يعلم أن ما أغضبه ، وإن كان قد جاء على غير مراده فإنه قد جاء على مراد الله تعالى فلا يصح له أن يفضل نفاذ مراده على نفاذ مراد الله ، ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه .

قال الطوخى : أقوى الأشياء فى رفع الغضب استحضار التوحيد الحقيقى وهو أن لا فاعل إلا الله ، فمن توجه إليه بمكروه ، فاستحضر أن الله لو شاء لم يكن ذلك اندفع غضبه لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه على ربه جل وعلا وهو خلاف العبودية .

٦ - أن يستحضر صورة الغاضب فى ذهنه ، وكيف تتغير هيئته ، ويختل تصرفه ويبدو فى أقبح صورة ، ويقارن ذلك بوقار العلماء والصالحين ، وهدوء نفوسهم وحسن سمتهم .

٧ - أن يتذكر فضل كظم الغيظ ، وفضل العفو والرفق ، وما جاء فى عاقبة ثمرة الغضب من الوعيد لأن الطمع فى ثواب ذلك قد يكون مانعاً من التشفى والانتقام ، وينطفئ عنه غيظه ويذهب غضبه ، وخاصة حين يتذكر قول الله تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [1] ، وقد كان رسول الله ﷺ وصحابته يعيشون منهجاً عملياً ، السمع والطاعة لأوامر الله سبحانه وتعالى ، فلنقتبس منهجهم وحياتهم .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٣٤ » .

أسوة حسنة :

إن قتل حمزة سيد الشهداء فى معركة أُحد وهو عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة حيث أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب ، وليته قُتل فقط ؟ بل مُثِّل به ، فأُخذَ بضع منه وهو الكبد ولاكته [(١)] ، هند بنت عتبه ، وجُدِع [(٢)] ، أنفه وأذناه .

وهذا أمر أكثر من القتل ، فهو حقد دنىء ، وقد شبه النبى ﷺ هذه الحادثة بأنها أفظع ما لقى .

قال ابن هشام : ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة ، قال : لن أُصاب بمثلك أبداً ؟ ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلىّ من هذا !! .

وقال ﷺ حين رأى ما رأى لولا أن تحزن صفية [(٣)] ، وتكون سُنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم ، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مَثُلَة لم يمثلها أحد من العرب .

وهنا جاء كظم الغيظ ليأخذ ذروة الحدث وقمته عند رسول الله ﷺ فى واحد من أحب البشر إليه ، وينزل قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) ﴾ [(٤)] ، ويأتى الأمر من

---

(١) لاكته : لكَّ الشيء لكاً خلطه وضغطه .

(٢) جدع : قطع .

(٣) صفيه عمة رسول الله ﷺ .

(٤) سورة النحل الآية « ١٢٦ » .

الله بكظم الغيظ إلى رسوله وحبيبه وإلى كافة المسلمين فعفا رسول الله ﷺ ، وصبر ونهى عن المثلة ، وقال : [**نصبر ولا نعاقب**] ، عن عبد الله بن زيد الأنصارى رضي الله عنه أن [**رسول الله ﷺ نهى عن المُثَلة والتبنى**] (١) ، إنه السمع والطاعة والاستسلام لأوامر الله تعالى .

وبعد الصبر قال تعالى : ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾ (٢) ، ولأن الصبر يحتاج إلى مقاومة الانفعال ، وضبط للعواطف وكبت للفطرة فإن القرآن الكريم يصله بالله ويزين عُقباه ، قال تعالى : ﴿ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ (٣) ، فهو الذى يعين على الصبر وضبط النفس والاتجاه إليه ، هو الذى يطامن من الرغبة الفطرية فى رد الاعتداء ، سبحانه وتعالى يعين من التجأ إليه وحاول أن يكظم غيظه ويصبر فإنه يعينه ولا يتركه لبشريته الضعيفة ، فيفوض أمره إلى الله ويحتسب ويعفو ويصفح ويرضى بقدر الله ، فمع الرضا تكون السكينة وينعم القلب بطاعة الله .

إنه قد يقع به الأذى لامتحان صبره ، وقد يبطئ عليه النصر لابتلاء ثقته بربه ، ولكن العاقبة معروفة من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (٤) ، ومن كان الله معه فلا عليه ممن يكيدون وممن يمكرون ، ويتذكر أقوال النبى ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : [**من كتم غيظاً وهو قادر على أن يُنفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يُخيِّره من**

---

(١) أخرجه البخارى ، وقد رواه ابن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ .
(٢) سورة النحل الآية « ١٢٦ » .
(٣) سورة النحل الآية « ١٢٦ ، ١٢٧ » .
(٤) سورة النحل الآية « ١٢٨ » .

الحور العين يزوجه منها ماشاء] [(١)] ، وأى رضا ، وأى رجاء فوق زواجه من الحور العين من يشاء منهن .

عن ابن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **[لا يرحم الله من لا يرحم الناس]** [(٢)] ، وفى رواية **[من لا يرحم الناس لا يرحمه الله]** [(٣)] ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **[إنما يرحم الله من عباده الرحماء]** [(٤)] .

٨ - أن يتفكر فى السبب الذى يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ مثل قول الشيطان له إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيراً فى أعين الناس ؟ فيقول لنفسه : ما أعجبك ! تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزى يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك ! ، بعد أن كان هذا حقك أن تنتقمى منه وتردى مظلمتك يوم القيامة ، أتحذرين من أن تصغرى فى أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغرى عند الله والملائكة والنبيين ؟ .

فينبغى أن يكظم غيظه لله ، فذلك يعظمه عند الله ، فما له وللناس ؟ إن ذُل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم منه الآن ، أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودى يوم القيامة : لِيَقُم من كان أجره على الله ، فلا يقوم إلا من عفا .

---

(١) حسن : رواه أصحاب السنن الأربعة ، وأحمد فى مسنده ، وأبو نعيم فى الحلية ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٩٣٩٤ .
(٢) ، (٣) جامع الأصول ج ٥ / ٢٦٩ رقم ٢٦١٧ ، أخرجه البخارى ومسلم والترمذى .
(٤) جامع الأصول ج ٥ / ٢٧٠ ، رقم ٢٦٢٢ ، متفق عليه عن أسامة بن زيد مرفوعاً .

وفى الأثــــر :

اجتمع سلمان الثورى وأبو خزيمة اليربوعى والفضيل بن عياض ، فتذاكروا الزهد فأجمعوا أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب ، والصبر عند الجزع .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من اتقى الله لم يشف غيظه ، ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون .

خرج زين العابدين على بن الحسين يوماً من المسجد ، فسبه رجل ، فانتدب الناس إليه ، فقال : دعوه ، ثم أقبل عليه فقال : ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ، فاستحيا الرجل فألقى زين العابدين إليه خميصه كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك إذ رآه يقول : إنك من أولاد الأنبياء [1] ، فقال بعضهم : جُمع له خمس خصال محمودة : الحلم ، وإسقاط الأذى ، وتخليص الرجل مما يبعد عن الله ، وحمله على الندم والتوبة ، ورجوعه إلى المدح بعد الذم ، واشترى جميع ذلك بشىء من الدنيا يسير . ونال منه رجل يوماً فجعل يتغافل عنه يريه أنه لم يسمع فقال له الرجل : إياك أعنى ! فقال له علىّ : وعنك أغض ! [2] .

٩ - أن يتذكر وصايا الرسول ﷺ فى مقاومة الغضب : فينغبى له السكون والتعوذ ، وتغيير الحال ، فإن كان قائماً جلس ، وإن كان جالساً اضطجع ، فإن لم يذهب غضبه توضأ واغتسل ، فهذه الأمور وردت فى الأحاديث ، ومنها كما روى أبو وائل قال : كنا عند عروة بن محمد ، فكلمه رجل بكلام ، فغضب غضباً شديداً ، فقام وتوضأ ثم جاء ، فقال : حدثنى أبى عن جدى

---

(١) ، (٢) الإحياء ٣ / ١٩٠ .

عطية وكانت له صحبته قال : قال رسول الله ﷺ : [**إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خُلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**] [(١)] .

وأما الجلوس والاضطجاع فيمكن أن يكون أمر بذلك ليقرب من الأرض التى منها خلق ، فيذكر أصله فيذل ، أو يكون ليتواضع لأن الغضب غالباً ينشأ من الكبر ، روى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه ذكر الغضب وقال : [**من وجد شيئاً من ذلك فليلصق خده بالأرض**] [(٢)] .

وقال ﷺ : [**علموا ويسروا ، علموا ويسروا ، علموا ويسروا ، وإذا غضبت فاسكت ، وإذا غضبت فاسكت**] [(٣)] .

وقول النبى ﷺ : [**إذا غضبت فاسكت**] مراراً يدل على أن الغضبان مكلف فى حال غضبه بالسكوت ، فيكون حينئذ مؤاخذ بالكلام ، وقد صح عن النبى ﷺ أنه أمر من غضب أن يتلافى غضبه بما يسكته من أقوال وأفعال ، وهذا عين التكليف له بقطع الغضب .

قال الحافظ وبهذا يظهر السر فى أمره ﷺ الذى غضب أن يستعيذ بالله من الشيطان ، لأنه إذا توجه إلى الله فى تلك الحالة بالاستعاذة به من الشيطان أمكنه

---

(١) رواه الإمام أحمد ٢٢٦/٤ من طريق محمد بن عطية قال الذهبى فى الميزان تفرد عنه ولده الأمير عروة قلت : فهو أشبه بأن يكون مجهول الحال وإن كان الحافظ قد قال عنه فى التقريب صدوق ، فلم أجد أحداً أوثقه غير ابن حبان على قاعدته والمعروف عنه التساهل فى ذلك ، كذا ولده عروه لم يوثقه ، غير ابن حبان أيضاً ، وقال الحافظ مقبول يعنى عند المتابعة ولم أجد له متابعة ، فعلى ذلك يكون الحديث ضعيف والله أعلم .
(٢) رواه الطبرانى فى الكبير كما فى المجمع ١ / ١٢٨ وسنده ضعيف .
(٣) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ص ٣٧٩ .

استحضار ما ذُكر ، وإذا استمر الشيطان متلبساً متمكناً من الوسوسة لم يُمكنه من استحضار شيء من ذلك ، والله أعلم ، عافانا الله تعالى وغفر لنا .

١٠ - الكبر من أهم أسباب الغضب :

إن أعظم ما ينشأ عنه الغضب الكبر ، لكونه يقع من مخالفة أمر يريده ، أو إهانة موجهة إليه ، فيعتبر أن مخالفة أوامره وهواه ، أو أى غلط فى حقه ماهو إلا إهدار لكرامته وتقليل من شأنه بين الناس وتحقير له وذلة ، وهذا وسوسة شيطان .

إننا لو فكرنا فى موقفنا وتصرفاتنا تجاه من آذانا سواء بالضرب أو السب أو عدم طاعة أوامرنا ، أو ظلمنا بأى نوع من أنواع الظلم ، فسنجد أن موقفنا وتصرفاتنا متغيرة تبعاً لنوعية المؤذى ، فإن كان الظالم ممن هو أعلى منا فى الجاه أو المال أو قوة بدنية أو رئيس فى العمل أو صاحب العمل نفسه ونكون محتاجين لهذا العمل فى عيشنا ، أو أى خطر سوف يلاقينا ، فإننا لا نفكر فى القصاص ورد الاعتداء بمثله ، وذلك خوفاً أو ضعفاً ، إنه لابد أن نهدأ أو نفكر فى كل كلمة وكل حركة .

أما إذا كان المعتدى أو الظالم لا يملك لنا سلطة فى عملنا أو معاشنا ، وكان ذا جاه أو مال أو قوة بدنية ، وأخذتنا الحمية وأردنا القصاص ولابد ، فإنه فى هذه الحالة نقتص فى أقل حد ممكن بحيث يكون أضعف مما نالنا من الإيذاء بمراحل ، وذلك خوفاً وهيبة ، وإحساساً بالإنكسار والضعف ، ويسمى هذا بمفهومنا الدنيوى حمق وسفه وتطاول على الأكابر .

أما إذا كان المعتدى نداً ففى هذه حالتان : إما أن تكون بيننا وبين المعتدى علاقة مودة وحب وصداقة ففى هذه الحالة يتدخل الحب والود ونلتمس الأعذار للمعتدى ويأتى العفو والصفح طبيعياً .

وإما أن نثور لكرامتنا ويتدخل الكبر وسوء الظن وينشط الشيطان ، ماذا يقصد بهذا الاعتداء ؟ هل يريد أن يتعالى عليّ ويهيننى ، أو أنه يطمع فيّ وفى مالى ، إلى غير ذلك ، لابد أن أثبت له وللناس من أنا ومَن الأقوى ، لابد أن أوقف طمع الطامعين ولابد ولابد ولابد .

أما إذا كان المعتدى دوننا فى المكانة أو الغنى أو القوة : فهنا تظهر حجة البعض من الناس إنه عصبى ولا يتحكم فى نفسه وقت الضجر والكرامة ، وتقوم الدنيا وتقعد ، كيف يجرؤ على هذه الفعلة ، كيف ينسى نفسه ، وكيف يتطاول ويؤذينا ، كيف وكيف ! .

ويكون الانتقام حينئذ أضعاف ما نالنا من الإيذاء ، وبعد أن يكون لنا عليه حق نصبح ظالمين ويصبح هو الذى له عندنا حق ، ونصبح محملين بأوزارنا وأوزاره .

هل ترى قارئى الفاضل لهذه الحالات الأربعة أى دافع لها غير الكبر ، إنها الآفة التى تأكل حسناتنا ، إنها الآفة التى سوف توردنا المهالك .

ففى صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ : [**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر**] [(١)] ، وفى الصحيحين عن النبى ﷺ قال : [**ألا أدلكم بأهل الجنة كل ضعيف مُتضعَف ، لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ، كل عُتل [(٢)] جواظ [(٣)] مستكبر**] [(٤)] ، وفى الترغيب للمنذرى فى معنى جواظ هو الفاجر المغرور المعجب بنفسه المحقر دونه .

---

(١) رواه مسلم ٩١ ، والبغوى ٣٥٨٧ .

(٢) العتل : الغليظ الجاف الشديد .

(٣) الجواظ : الغليظ الفظ .

(٤) رواه البخارى باب الكبر ٤٩١٨ - ٦٠٧١ ، ٦٦٥٧ ، وصحيح مسلم ٢٨٥٣ ، والبغوى ٣٥٩٤ .

أى أن صفات أهل النار المعذبين هى :

أ - خشونة فى الطبع ، سفاهة الرأى ، وقلة الأدب والقسوة .

ب - الممتلىء صحة ونضارة ويقصر فى أداء حقوق الله ، المتبع ملذاته المائل إلى شهواته ، والعاصى ربه .

جـ - كثير الفخر والكبرياء والرياء ، يحب الشهرة الكاذبة بلا عمل صالح خالص لوجه الله تعالى ، المختال فى مشيته ، ويتعالى على الناس .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله عز وجل : [**العزة إزارى والكبرياء ردائى ، فمن نازعنى عذبته**] (١) ، وفى شرح النووى : الضمير فى إزاره وردائه يعود إلى الله تعالى .

شرح النووى :

قال الله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ : من ينازعنى ذلك أعذبه ، ومعنى ينازعنى يتخلق بذلك وهذا وعيد شديد فى الكبر مصرح بتحريمه ، وأما تسميته إزاراً ورداءاً فمجاز واستعارة حسنة ، كما تقول العرب فلان شعاره الزهد ودثاره التقوى ، لا يريدون الثوب الذى هو شعار أو دثار بل معناه صفته .

قال المازرى : فضرب ذلك مثلاً لكون العزة والكبرياء بالله تعالى أحق وله ألزم واقتضاهما جلاله ، ومن مشهور كلام العرب فلان واسع الرداء وغمر الرداء أى واسع العطية .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : [**وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً**] (٢) ، وفى شرح النووى : وفى هذا الحديث وجهان أحدهما

---

(١) رواه مسلم ٢٦٢٠ وبشرح النووى باب الكبر ، والبغوى ٣٥٩٢ .

(٢) متفق عليه من حديث أبى كبشة الأنمارى .

أنه من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم فى القلوب وزاد عزة وكرامة ، والثانى أن المراد أجره فى الآخرة وعزه هناك .

إن احترام الإنسان لنفسه ليس مرادفاً للكبر أو الغرور أو الإرهاب - كلا - هذا شيء وذاك شيء آخر تماماً ، بل إن الذى يحترم نفسه يكون بالقطع متواضعاً لين الجانب سهل المعشر .

بخلاف الذى لا يحترم نفسه ، فتراه يحاول أن يعوض هذا النقص بأن يستعلى على الآخرين لكى يرى نفسه فى أعينهم أهلاً للاحترام ، ولكن احترام الناس لا يشترى بالترغيب ولا حتى بالترهيب ، بل بسلوكيات الفرد التى تجعله محترماً فى عين نفسه قبل عيون الآخرين بالبعد عن الصغائر ، بالعفو عن زلات الآخرين ، بالهدوء وكظم الغيظ بالحلم والصفح .

إن التصرفات هى المحكّ وهى إما تجعل الشخص جديراً بالاحترام والتوقير ، وإما تجعله خلاف ذلك .

إذاً فالكرامة والعزة والسيادة والعظمة بطاعة الله ورسوله ، فإن الله سبحانه وتعالى لم يأمرنا إلا بما يزكينا ويطهرنا ، ولم ينهنا إلا عما يدنسنا ويشيننا ، ومن أوامره العفو والصفح والتواضع ، ونهانا عن الكبر والانتقام والترهيب .

الغضب يساعد على الغيبة :

إن الغضب من الأسباب الباعثة على الغيبة وبيان ذلك أن الإنسان إذا جرى بينه وبين أخيه سبب غضب عليه ، فإنه إذا هاج غضبه يستشفى بذكر مساوئه فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثمّ دين وازع .

وقد يمتنع تشفى الغيظ عند الغضب ، فيحتقن الغضب فى الباطن فيصير حقداً ثابتاً فيكون سبباً دائماً لذكر المساوىء ، فالحقد والغضب من البواعث

العظيمة على الغيبة .

وقد يغضب رفقاء الرجل على آخر فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهاراً للمساهمة فى الضراء والعزاء ، فيخوض معهم فى ذكر العيوب والمساوئ .

وعلاج ذلك أن يقول إنى إذا أمضيت غضبى عليه فلعل الله تعالى يمضى غضبه علىّ بسبب الغيبة ، إذ نهانى عنها فاجترأت على نهيه واستحققت غضبه ، أما إذا انتصر بالغيبة فهذا حرام وقال النبى ﷺ : [**الغيبة ذكرك أخاك بما يكره**] ، قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : [**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فقد بهته**] [1] .

فأما النميمة والغيبة والبهتان والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ⑫ ﴾ [2] .

روى أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام ، فذكر رجل خالداً عند سعد ، فقال سعد : مه إن ما بيننا لم يبلغ ديننا ، يعنى أن يأثم بعضنا فى بعض ، فلم يسمع السوء ، فكيف يجوز له أن يقوله .

إن السكوت على أصل الجواب على من يسبك لعله أيسر من الشروع فى الجواب والوقوف وضبط النفس على حد الشرع فيه ، وليكن سماحة وعفو ابتغاء مرضات الله وطاعة له ليصفو القلب ويصفح ولا يمتلئ

---

(١) صحيح مسلم ، بشرح النووى باب تحريم الغيبة .
(٢) سورة الحجرات الآية « ١٢ » .

حقداً وضغينة .

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ [(١)] :

قال تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ [(٢)] ، وهذا هو أشد مؤنة من مجرد الصبر على الإيذاء والسخرية ، إنه الاستعلاء على كبرياء النفس ، ورغبتها فى دفع السخرية ، ورد الأذى والشفاء من الغيظ ، ثم درجة أخرى بعد ذلك كله ، درجة السماحة الراضية ، التى ترد القبيح بالجميل وتقابل الجاهل الساخر بالطمأنينة والهدوء وبالرحمة والإحسان، إنه أفق من عظمة الخلق لا يبلغه إلا المؤمنون الذين يعاملون الله فيرضاهم ويرضونه ويكون أجرهم على الله سبحانه الغنى ذى الرحمة فيؤتيهم أجرهم مرتين ، وذلك لسماحة نفوسهم بالإحسان لمن أذاهم وهم أيضاً ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥) ﴾ [(٣)] ، واللغو فارغ الحديث الذى لا حاصل وراءه وهو الهذر الذى يقتل الوقت دون أن يضيف إلى القلب أو العقل زاداً جديداً ولا معرفة مفيدة ، وهو البذئ من القول الذى يفسد الحس واللسان سواء وجه إلى مخاطب أم حكى عن غائب .

عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : [**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**] [(٤)] ، وعن أبى ذر رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول: [**لايرمى رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن**

---

(١) سورة القصص الآية « ٥٥ » .
(٢) سورة القصص الآية « ٥٤ » .
(٣) سورة القصص الآية « ٥٥ » .
(٤) صحيح البخارى باب ما ينهى عن السباب واللعن .

صاحبه كذلك] (١) .

عن أنس قال : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعاناً ولا سباباً كان يقول عند المعتبة : [**ما له تربت** (٢) **جبينه]** (٣) .

والقلوب المؤمنة لا تلغو ذلك اللغو ، ولا تستمع إلى ذلك الهذر ، ولا تعنى بهذا البذاء ، فهى مشغولة بتكاليف الإيمان ، مرتفعة بأشواقه ، متطهره بنوره ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ (٤) ، ولكنهم لا يهتاجون ولا يغتاظون ولا يجارون أى اللغو فيردون عليهم بمثله .

عن الأعمش قال : سمعت شقيقاً يقول : قال عبد الله : قسم النبى ﷺ قسمه كبعض ما كان يقسم ، فقال رجل من الأنصار : والله إنها قسمة ما أُريد بها وجه الله ، قلت أما لأقولنّ للنبى ﷺ ، فأتيته وهو فى أصحابه فساررته ، فشق ذلك على النبى ﷺ وتغير وجهه وغضب ، حتى وددت أنى لم أكن أخبرته ، ثم قال : [**قد أوذى موسى بأكثر من ذلك فصبر]** (٥) .

عن أبى موسى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : [**ليس أحد أوليس شىء أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم ليدعون له ولداً ، وإنه ليعافيهم ويرزقهم]** (٦) .

---

(١) صحيح البخارى باب ما ينهى عن السباب واللعن
(٢) تربت جبينه : تعفرت جبينه بالتراب .
(٣) صحيح البخارى باب ما ينهى عن السباب واللعن .
(٤) سورة القصص الآية « ٥٥ » .
(٥) ، (٦) صحيح البخارى بالب الصبر على الأذى .

﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [(١)] :

ويتركونهم في موادعة وسلام ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [(٢)] ، هكذا فى أدب ، وفى دعاء بالخير ، وفى رغبة للهداية ، إنها النفس المؤمنة المطمئنة إلى إيمانها ، النفس الوضيئة التى تفيض بالسماحة والودّ ، وترسم لمن يريد أن يتأدب بأدب الله طريقاً واضحاً لا لبس فيه ، فلا مشاركة للجهال ، ولا مخاصمة لهم ، ولا موجدة [(٣)] ، عليهم ، ولا ضيق بهم ، إنما هو حب الخير حتى للجارم المسىء المؤذى .

وفى الأثر : قال رجل لعمر رضي الله عنه : والله ما تقضى بالعدل ولا تعطى الجزل ، فغضب عمر حتى عرف ذلك فى وجهه ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ألا تسمع قول الله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) ﴾ [(٤)] ، فهذا من الجاهلين ، فقال عمر : صدقت ، فكأنما كانت ناراً فأطفئت، وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كنت أمشى مع النبى ﷺ وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة ، قال أنس : ونظرت إلى صفحة عاتق النبى ﷺ وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء [(٥)] .

---

(١) سورة الأعراف الآية « ١٩٩ » .
(٢) سورة القصص الآية « ٥٥ » .
(٣) موجدة : غضب أو حزن .
(٤) سورة الأعراف الآية « ١٩٩ » .
(٥) صحيح البخارى باب التبسم والضحك .

منِ كظم غيظه ولم يعفُ :

إنه من كظم غيظه ولم يعفُ ويسامح وتمكن الشيطان من إدخال الحقد فى قلبه ، فإنه لا يأمن مع الحقد من ارتكاب بعض المحظورات ، فلنرى ماذا يثمر الحقد فى القلب .

الحقد ينتج عنه سبعة أمور :

١ – الحسد ، وهو أن تتمنى زوال النعمة عن غريمك ، فتغتم بنعمة إن أصابها ، وتسرُّ بمصيبة إن نزلت به ، وهذا فعل المنافقين .

٢ – أن تشمت بما أصابه من البلاء .

٣ – أن تهجره وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك .

٤ – أن تعرض عنه استصغاراً له .

٥ – أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه .

٦ – إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه .

٧ – أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم .

وكل ذلك من المعاصى .

وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات السبعة المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تعصى الله به ، ولكن تستثقله فى الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه ، وتمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له ، أو بترك الدعاء له والثناء عليه أمام الناس ، أو التحريض على بره ومواساته ، فهذا كله مما ينقص درجتك فى الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل ، وإن كان هذا

لا يعرضك لعقاب الله .

والأولى أن يبقى على ما كان عليه ، فإن أمكنه أن يزيد في إحسانه إليه مجاهدة للنفس ، وإرغاماً للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل الأعمال ، فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة :

أحدهما : أن يستوفى حقه الذى يستحقه من غير زيادة أو نقصان وهو العدل .

الثانى : أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل .

الثالث : أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور ، وهو اختيار الأراذل ، والثانى : هو اختيار الصديقين ، والأول : هو منتهى درجات الصالحين إن استطاع أن يتحكم فى نفسه وأن يضبط استيفاء المظلمة بدون زيادة وهذا يندر [1] .

لا ينتقم لنفسه أبداً :

روى مسلم أن النبى ﷺ لما كسرت رباعيته ، وشج وجهه يوم أُحد شق ذلك على أصحابه شقاً شديداً ، وقالوا : لو دعوت عليهم ، فقال : [**إنى لم أبعث لعاناً ، ولكنى داعياً ورحمة ، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون**] [2] .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : [**ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظمة ظلمها قط ، ما لم تكن حرمة من محارم الله ، وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما ضرب خادماً ولا امرأة**] [3] ، وما كان بالذى يخرجه غضبه عن الحق .

---

(١) الإحياء ٣ / ٢٨٣ .
(٢) صحيح مسلم ٨٧ / ٢٥٩٩ .
(٣) رواه أحمد فى المسند ٦ / ٣٢ .

إن لنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، وهو أن الإنسان لا يقول إلا الحق ، وفى حدود طاعة الله ، سواء غضب أو رضى ، وهذا عزيز ، فإن أكثر الناس إذا غضب المرء منهم لا يتوقف فيما يقول ، وقد يجره غضبه ، ولو كان لله إلى مالا يحمد عقباه .

مثال ذلك أنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه ، وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يظهره على غيره ، ويستر اسمه ولا يذكره بسوء ، كما كان النبى ﷺ يفعل .

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى ﷺ إذا بلغه عن الرجل ، الشىء لم يقل : ما بال فلان يقول؟ ولكن ما بال أقوام يقولون كذا وكذا [(١)] ، وقد يرى العابد أخاه المسرف على الذنب فيعظه فلا ينتهى وينصحه فلا يستجيب ، فيستعظم الذنب ويغضب على صاحبه ويقول له : والله ما يغفر الله لك أو ما شابه ذلك ، وهو يرى أنه بذلك إنما غضب لله وأدى ما عليه ، ونسى أنه تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته ؟ ، وهذا ما أخبر النبى ﷺ يقول : [**كان رجلان من بنى إسرائيل متواخين ، فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد فى العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول : أقصر ، فوجده يوماً على الذنب ، فقال له : أقصر ؟ فقال : خلنى وربى ، أبعثت علىّ رقيباً ؟ فقال : والله لا يغفر الله لك ، أو لا يدخلك الله الجنة ، فقبض أرواحهما ، فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد : أكنت بى عالماً ؟ أو كنت على ما فى يدى قادراً ؟ ، وقال للمذنب : اذهب فادخل الجنة**

---

(١) أخرجه أبو داود جـ ٤٧٨/٨ وإسناده على شرط الشيخين ، وقال المنذرى أخرجه النسائي بمعناه .

برحمتى ، وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار] [(١)] .

وعن جندب أن رسول الله ﷺ حدث : [**أن رجلاً قال والله لا يغفر الله لفلان ، وأن الله تعالى قال : من ذا الذى يتألى علىّ أن لا أغفر لفلان ؟ فإنى قد غفرت لفلان وأحبطت عملك**] أو كما قال [(٢)] .

بيان فى رد الظلم من الكلام :

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله ، فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ، ولا مقابلة التجسس بالتجسس ، ولا السرقة بالسرقة ، ولا السب بالسب ، وكذلك سائر المعاصى ، وإنما رد الظلم والغرامة على قدر ما ورد الشرع به .

قال تعالى : ﴿ **لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨)** ﴾ [(٣)] .

قال البغوى : لا يحب الله الجهر بالقبح من القول ، والسوء من القول ما يسوء من يقال فيه كذكر عيوبه ومساوئه التى تؤذى كرامته ، إلا من ظلم ، فيجوز للمظلوم أن يدعو على الظالم ، ولكن بحدود ، قال الحسن : دعاؤه عليه أن يقول : اللهم أعنى عليه ، اللهم استخرج حقى منه ، وقال الحسن أيضاً : فأما أن يقابل القذف بالقذف ، ونحوه فلا ، وقال رسول الله ﷺ : [**إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه**] [(٤)] .

---

(١) من كتاب صحيح الأحاديث القدسية ، وقال حسن أخرجه أحمد ١٦ / ٨٢٧٥ .
(٢) حديث صحيح أخرجه مسلم ٢٠٢٣/٤ ، ح ١٣٧ ، وصحيح مسلم بشرح النووى ، باب النهى عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى .
(٣) سورة النساء الآية « ١٤٨ » .
(٤) أخرجه أحمد من حديث جابر بن مسلم .

فلا يجوز سب المسلم بإجماع الأمة ، ولا يجوز للمسبوب أن ينتصر إلا بمثل ما سبه ما لم يكن كذباً أو قذفاً ، أو سباً لأسلافه ، فمن صور المباح : أن ينتصر بيا ظالم يا أحمق ، قال مطرف : كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة من بعض ، أو جافى أو نحو ذلك ، لأنه لا يكاد أحد ينفك من هذه الأوصاف .

وقال رسول الله ﷺ : [**المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم**] (١) ، فأثبت للمظلوم انتصاراً إلى أن يعتدى ، ولا يتعد قدر الإيذاء ، ولكن الأفضل تركه فإنه يجره إلى ما ورائه .

نفائس عطرة :

قال الإمام مسلم رحمه الله ١١ / ١٧٢ نووى :

عن سماك بن حرب أن علقمة بن وائل حدثه أن أباه حدثه : إنى لقاعد مع النبى ﷺ إذا جاء رجل يقود آخر بنسعة (٢) ، فقال : يارسول الله هذا قتل أخى ، فقال رسول الله ﷺ : [**أقتلته**] ، فقال : إنه لو لم يعترف أقمت عليه البينة ، قال : نعم قتلته ، قال ﷺ : [**كيف قتلته**] قال : كنت أنا وهو نختبط (٣) ، من شجرة فسبنى وأغضبنى فضربته بالفأس على قرنه فقتلته ، فقال له النبى ﷺ : [**هل لك من شىء تؤديه على نفسك**] ، قال : ما لى مال إلا كسائى وفأسى ، قال : [**فترى قومك يشترونك**] ، قال : أنا أهون على قومى من ذاك ، فرمى إليه بنسعته وقال : [**دونك صاحبك**] ، فانطلق

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى باب النهى عن السب .
(٢) نسعة : حبل من جلودم ضفورة .
(٣) يختبط : أى يجمع الخبط وهو ورق الثمر بأن يضرب الشجر بالعصا فيسقط ورقة فيجمعه علفاً .

به الرجل ، فلما ولى قال رسول الله ﷺ : [**إن قتله فهو مثله**] ، فرجع فقال : يا رسول الله إنه بلغنى أنك قلت إن قتله فهو مثله ، وأخذته بأمرك ، فقال رسول الله ﷺ : [**أما تريد أن يبوء بإثمك وإثم صاحبك**] ، قال : يانبى الله « لعله قال » بلى ، قال ﷺ : [**فإن ذاك كذاك**] ، قال : فرمى بنسعته وخلى سبيله] (١) .

قال الإمام مسلم ٣ / ١٢٨٠ رقم ٣٤ :

حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمى عن أبيه قال : قال أبو مسعود البدرى : كنت أضرب غلاماً لى بالسوط فسمعت صوتاً من خلفى [**اعلم أبا مسعود**] فلم أفهم الصوت من الغضب ، قال : فلما دنا منى إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول : [**اعلم أبا مسعود ، اعلم أبا مسعود**] قال : فألقيت السوط من يدى ، فقال ﷺ : [**اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**] ، قال : فقلت : لا أضرب مملوكاً بعده أبداً] (٢) .

فجاهد نفسك يا أخى بعدم الغضب لتنال خير الدنيا والآخرة ، وتحافظ على صحتك فلا تهيج دورة دمك .

وقد قال لقمان لابنه : يابنى لا تذهب ماء وجهك بالمسألة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك .

وفى الأثر : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ولا تَظُنَّن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً ، وأنت تجد لها فى الخير محلاً .

---

(١) أخرجه مسلم بشرح النووى ١١/ ١٧٢ .
(٢) أخرجه مسلم ٣ / ١٢٨٠ رقم ٣٤ .

﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [1] .

الحلم :

اعلم عزيزى القارئ أن الحلم أفضل من كظم الغيظ ، لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أى تكلف الحلم .

ولا يحتاج إلى كظم الغيظ ، إلا من هاج غضبه وغيظه ، ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ، ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتياداً ، فلا يهيج الغيظ ، وإن هاج الغيظ فلا يكون فى كظمه تعب ، وهو الحلم الطبيعى ، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ، ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفاً .

العفو :

إن معنى العفو أن يستحق حقاً فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص أو غرامة ، وملاك هذا تغليب الحلم على الغضب ، وتغليب العفو على العقاب ، ولا شك أن الإنسان يحزنه أى تهجم على شخصه ، أو على من يحب ، ويؤلمه بل ويوجعه أى ظلم ، وإذا واتته أسباب الثأر سارع إلى مجازاة السيئة بمثلها ، ولا يقر له قرار إلا إذا أدخل من الضيق على غريمه بقدر ما شعر هو نفسه من ألم أو أكثر ، وغالباً ما يكون أكثر .

ولكن هناك مسلكاً أنبل من ذلك وأرضى لله، وأدل على العظمة والمروءة ، أن يبتلع غضبه فلا يتفجر ، وأن يقبض يده فلا يقتص ، وأن يجعل عفوه عن المسيء نوعاً من الشكر لله تعالى الذى أقدره على أن يأخذ بحقه إذا شاء .

---

(1) سورة آل عمران الآية « ١٣٤ » .

ومن مظاهر العفو : ترك الخصومة والتغافل عن الزلّة ونسيان الأذية ، فلا يخاصم بلسانه ، ولا ينوى المخاصمة بقلبه ، ولا يخطرها على بال ، وأما التغافل عن الزلّة فهو إذا رأى من أحد زلة ، أظهر أنه لم يرها ، لئلا يعرض صاحبها للوحشة [(١)] ، لأنه لا مبرأ من سهوٍ وزلل ، ولا سليم من نقص أو خلل ، وأما نسيان الأذية فهو بأن تنسى أذية من نالك بأذى أو تفكر فيها إطلاقاً بل تسقطها من حسابك وذاكرتك ،ليصفو قلبك له ، ولا تستوحش [(٢)] منه .

الإحسان :

هو درجة أعلى من ذلك ، حتى أعلى من نسيان الأذية ، ودرجة تستطيع الوصول إليها بعد أن يصفو قلبك ، فمن مظاهرها : أن تقرب من يقصيك ، وتكرم من يؤذيك ، وتعتذر إلى من يجنى عليك ، سماحة لا كظماً ، ومودة لا مصابرة ، بأن يكون الإحسان والإساءة بينك وبينه خطتين : فخطتك : الإحسان ، وخطته : الإساءة .

ومعنى الاعتذار إلى من يجنى عليك : أنك تعلم أنه إنما سلط عليك بذنب ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠) ﴾ [(٣)] ، فإذا علمت أنك بدأت بالجناية فانتقم الله منك على يده ، كنت فى الحقيقة أولى بالاعتذار .

وقال الله تعالى : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) ﴾ [(٤)] ، إن العفو هو ترك المؤاخذة عند القدرة ، وقال الله

---

(١) الوحشة : الخوف ، والانقطاع وبعد القلوب .
(٢) ولا تستوحش منه : أى لا تستأنس به .
(٣) سورة الشورى الآية « ٣٠ » .
(٤) سورة البقرة الآية « ٢٦٣ » .

تعـالـى : ﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ [(١)] ، سبحانه وتعالى عفواً قديراً ، جعلنا الله من يستحق عفوه ورحمته ، ويهون عليك : علمك بأن الجزاء من جنس العمل ، فإن كان هذا عملك فى إساءة المخلوق عفوت عنه ، وأحسنت إليه مع حاجتك وضعفك وفقرك فى ذلك ، فهكذا يفعل المحسن القادر العزيز الغنى بك فى إساءتك ، يقابلها بما قابلت به إساءة عبده إليك .

ومن الأمثلة العطرة من العفو والإحسان :

كان رسول الله ﷺ نائماً تحت شجرة قائلاً [(٢)] وأصحابه قائلون كذلك ، وذلك فى غزاة ، فتصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ﷺ ، فلم ينتبه رسول الله ﷺ إلا وغورث قائم على رأسه ، والسيف مسلط فى يده ، وقال : من يمنعك منى؟ فقال ﷺ: الله ، فسقط السيف من يد غورث ، فأخذه النبى ﷺ وقال : [**من يمنعك ؟**] ، قال غورث : كن خير آخذ فتركه وعفا عنه ، فعاد إلى قومه فقال : جئتكم من عند خير الناس ، فهكذا كان العفو المحمدى [(٣)] .

وكذلك عفا ﷺ عن لبيد بن الأعصم الذى سحره ﷺ ، ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه .

لما كان صبيحة الفتح دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام ووجد رجالات قريش جالسين مطأطئين الرؤوس ينتظرون حكم رسول الله ﷺ الفاتح فيهم ، فقال : [**يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم ؟**] قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : [**اذهبوا فأنتم الطلقاء**] ، فعفا عنهم بعد ما ارتكبوا من

---

(١) سورة النساء الآية « ١٤٩ » .
(٢) قائلاً من القيلولة وهى نوم الظهيرة .
(٣) من كتاب هذا الحبيب يا محب وأصله فى صحيح مسلم ٨٤٣ صلاة المسافرين عن جابر .

الجرائم ضده وضد أصحابه ما لا يقادر قدره ، ولا يحصى عدّه ، ومع هذا فقد عفا عنهم ولم يعنف ، ولم يضرب ولم يقتل ، ولم يعاتب ، ولكن عفا وأصلح [(١)] .

ومن أمثلة العفو والإحسان صفية بنت حيى أم المؤمنين رضى الله عنها : قال أبو عمر بن عبد البر : روينا أن جارية لصفية أتت عمر بن الخطاب فقالت : إن صفية تحب السبت ، وتصل اليهود ، فبعث عمر يسألها فقالت : أما السبت فلم أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة ، وأما اليهود فإن لى فيهم رحماً فأنا أصلها ، ثم قالت للجارية : ما حملك على ما صنعت ؟ قالت : الشيطان ، قالت : فاذهبى فأنت حرة [(٢)] .

وأما الصديق رضي الله عنه عن أبى هريرة رضي الله عنه : رجلاً شتم أبا بكر ، والنبى ﷺ جالس ، فجعل النبى ﷺ يعجب ويتبسم ، فلما أكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبى ﷺ وقام ، فلحقه أبو بكر ، فقال : يارسول الله : كان يشتمنى وأنت جالس ، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت ، قال : [**إنه كان معك ملك يرد عنك ، فلما رددت عليه بعض قوله ، وقع الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان**] ، ثم قال : [**يا أبا بكر ، ثلاث كلهن حق ، ما من عبد ظُلم بمظلمة فيغضى عنها لله عز وجل ، إلا أعز الله بها نصره ، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة ، إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله عز وجل بها قلة**] [(٣)] .

---

(١) من كتاب هذا الحبيب يا محب ، وأصله فى صحيح مسلم ٨٤٣ صلاة المسافرين عن جابر .

(٢) كتاب السير ٢ / ٢٣٣ ، والاستيعاب ١٣ / ٦٥ .

(٣) رواه أحمد ، وابن ماجه ، وقال الترمذى حديث حسن صحيح من حديث أبى كبشة الأنمارى ، ولمسلم وأبى داود نحوه من حديث أبى هريرة ، وذكره الألبانى فى صحيح الجامع ٣٠٢٤ .

حديث الإفك والعفو :

قال تعالى : ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢) ﴾[١] .

نزلت هذه الآية فى حديث الإفك الذى تطاول وتناول بيت النبوة الطاهر الكريم ، وعرّض رسول الله ﷺ أكرم إنسان على الله سبحانه وتعالى ، وعرّض صديقه الصديق أبى بكر رضي الله عنه أكرم إنسان على رسول الله ﷺ ، وعرّض رجل من الصحابة صفوان بن المعطل رضي الله عنه ، وقد شهد رسول الله ﷺ أنه لم يعرف عليه إلا خيراً ، وحديث الإفك هذا قد شغل المسلمين فى المدينة شهراً من الزمان ، وهذا الحادث قد كلف أطهر النفوس فى تاريخ البشرية كلها آلاماً لا تطاق ، وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب فى تاريخها الطويل ، وعلق قلب رسول الله ﷺ وقلب زوجه عائشة رضى الله عنها التى يحبها ، وقلب أبى بكر الصديق وزوجته ، وقلب صفوان ابن المعطل شهراً كاملاً ، علقها بحبال الشك والقلق والألم الذى لا يطاق .

إن المشهور من الروايات أن هذه الآية نزلت فى قصة أبى بكر الصديق رضي الله عنه ومسطح بن أثاثة ، وذلك أنه كان ابن بنت خالته وكان من المهاجرين المساكين وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه لقرابته ومسكنته ، فلما وقع أمر الإفك اشترك فيه مسطح وقال فيه ما قال : فحلف أبو بكر ألا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة أبداً ، فجاء مسطح فاعتذر وقال : إنما كنت أغشى[٢] ، مجالس حسان

---

(١) سورة النور الآية « ٢٢ » .
(٢) غشى : حضر أو جاء ، أغشى : أحضر .

فأسمع ولا أقول ، فقال أبو بكر : لقد ضحكت وشاركت فيما قيل ، ومر على يمينه .

غير أن الآية تتناول الأمة المسلمة إلى يوم القيامة ، بألا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع من هذه صفته غابر الدهر ، أو من يظلمه بأى مظلمة كانت ، وتذكر المؤمنين بأنهم هم يخطئون ثم يحبون من الله أن يغفر لهم ، فليأخذوا أنفسهم بعضهم مع بعض بهذا الذى يحبونه ، ولا يحلفون أن يمنعوا البر عن مستحقيه إن كانوا قد أخطأوا وأساءوا .

وهنا نجد النفوس الزكية التى تطهرت بنور الله فى نفس أبى بكر الصديق رضي الله عنه ، أبو بكر الذى مسه حديث الإفك فى أعماق قلبه ، والذى احتمل مرارة الاتهام لبيته وعرضه [١] ، فما يكاد يسمع دعوة ربه إلى العفو ، وما يكاد يلمس وجدانه ذلك السؤال الموحى ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [٢] ، حتى يرتفع على الآلام ويرتفع على مشاعر الإنسان ، ويرتفع على منطق البيئة ، وتشف روحه وتشرق بنور الله ، فإذا هو يلبى داعى الله فى طمأنينة وصدق ويقول : بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى ، ويعيد إلى مسطح النفقة التى كان ينفقها عليه ويحلف : والله لا أنزعها منه أبداً ، ذلك فى مقابل ما حلف : والله لا أنفعه بنافعة [٣] .

ونظير هذا المعنى : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : [**ارحموا ترحموا ، واغفروا يغفر لكم ، ويل لأقماع** [٤] ،

---

(١) العرض : هو ما يمدح ويذم من الإنسان سواء كان فى نفسه أو سلفه أو من يلزمه أمره ، والعرض أيضاً الجسد ، والعرض أيضاً النفس .
(٢) سورة النور الآية « ٢٢ » .
(٣) حديث : « لما حلف أبو بكر » متفق عليه من حديث عائشة .
(٤) ويل لأقماع القول : أى الذين يستمعون القول ولا يعملون به .

القول ، ويل للمصرِّين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون] [١] .

والله إنها لحجة علينا ، ما لنا نغضب ونعاقب على أتفه الأسباب ! ونمنُّ ونعاير من تصدقنا عليه أو أعطيناه أى عطية ! دون أى التفات إلى آيات الله ، أو إلى سلوك وحياة رسول الله ﷺ وسنته الصحيحة ، إنه منهج الإسلام ، أين نحن منه ، لقد عاشه وطبقه : الصحابة رضوان الله عليهم ، والتابعين والسلف الصالح من بعدهم ، ولذلك كان لابد أن أكثر فى هذا الباب من الأمثلة العطرة لنقتبس ونتعلم ، يرحمنا الله وإياكم .

عن بكار بن محمد السيرين ، قال : وكان فيما يحدثنى بعض أصحابنا ، لابن عون ناقة يغزو عليها ويحج ، فكان بها معجباً ، قال : فأمر غلاماً له أن يستقى عليها فجاء بها قد ضربها على وجهها ، فسالت عينها على خدها ، فقلنا : إن كان من ابن عون شىء فاليوم ، قال : فلم يلبث أن نزل فلما نظر إلى الناقة قال : سبحان الله ! أفلا غير الوجه ، بارك الله فيك ، اخرج عنى ، إشهدوا إنه حرّ [٢] .

قال ابن القيم : وما رأيت أحد قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ، وكان بعض أصحابه الأكابر يقول : وددت أنى لأصحابى مثله لأعدائه وخصومه ، وما رأيته يدعو على أحد منهم قط ، وكان يدعو لهم .

وجئت يوماً مبشراً له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة وأذى له ، فنهرنى وتنكر لى واسترجع [٣] ، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزّاهم ، وقال : إنى

---

(١) رواه الإمام أحمد بإسناد جيد .

(٢) السير ٦ / ٣٧١ » .

(٣) استرجع : أى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

لكم مكانه ، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا ساعدتكم فيه ، ونحو هذا الكلام ، فسُروا به ودعوا له ، وعظموا هذه الحال منه ، رحمه الله ورضى عنه .

إن الإيمان مدرسة خلقية وتربية نفسية :

إن الإسلام الصحيح هو الاستسلام الكامل لله وهو الإيمان ، والإيمان له سلطان على الروح والنفس والقلب والجوارح ، ذو سيطرة على الحياة وما يتصل بها ، فالذين آمنوا بالله الذى له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى ، الذين آمنوا برب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، الملك القدوس العزيز الجبار المتكبر ، الخالق البارئ ، الغفور الودود ، الرؤوف الرحيم ، له الخلق والأمر بيده ملكوت كل شيء إلى آخر ما جاء فى القرآن من وصف ووعود يثيب بالجنة ، ويعذب بالنار ، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور إلى آخر ما جاء فى القرآن من قدرته وتصرفه وعلمه وتيقنوا من ذلك ووثقوا ، فانقلبت نفسيتهم بهذا الإيمان الواسع العميق الواضح انقلاباً عجيباً .

إنه إذا آمن أحد بالله وشهد أنه لا إله إلا الله بحقها انقلبت حياته ظهراً لبطن ، وتغلغل الإيمان فى أحشائه وتسرب إلى جميع عروقه ومشاعره ، وغمر العقل والقلب بفيضانه ، وجعل منه رجلاً غير الرجل ، وظهر منه من روائع الإيمان واليقين والصبر والشجاعة ، وأصبح عبد الله لا يملك مالاً ولا نفساً ولا تصرفاً فى الحياة إلا ما يرضاه الله ويسمح به ، لا يخاصم ولا يصالح إلا بإذن الله ، ولا يرضى ولا يسخط ولا يعطى ، ولا يمنع إلا بإذنه ، ولا يصل ولا يقطع إلا بأمر الله ، ويعفو ويصفح ويسامح بإذن الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَن

النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) ﴾ [(١)] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [(٢)] ، ولا يتم ذلك إلا برغبة قوية فى الله والدار الآخرة ، بحيث تكون الآخرة أحب إليه من الدنيا وما فيها وآثر عنده منها ، ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وليس شيء أصعب على الإنسان من ذلك فى بادئ الأمر ، فإن نفسه وهواه وطبعه وشيطانه ، وإخوانه ومعاشريه من ذلك الجانب يدعونه إلى العاجل ، فإن خالفهم تصدوا لحربه وإيذائه ، فإن صبر وثبت جاءه العون من الله ، وصار ذلك الصعب سهلاً ، وذلك الأمل لذة ، فإن الرب شكور ، فلابد أن يذيقه لذة الطاعة ، فمن كان أجره على الله فيشتد به سروره ويبتهج به قلبه ، ويظفر بقوته وفرحه وسروه ، ويبقى من آذاه أو حاربه أو ظلمه ، على ذلك ، بين هائب له ، ومسالم له ومساعد ، ﴿ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [(٣)] ، ويقوى جنده ويضعف جند العدو .

ولتكن هذه المعاملة منك صادرة عن سماحة وطيبة نفس ، وانشراح صدر لا عن كظم وضيق ومصابرة ، وهذا لا يمكن إلا بعد العبور على جسر المصابرة والكظم بعون الله .

وفى الإحياء : وقيل فى قوله تعالى : ﴿ رَبَّانِيِّينَ ﴾ [(٤)] ، أى حلماء علماء ، وعن الحسن فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) ﴾ [(٥)] ، قال الحلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا ، وقال عطاء بن أبى رباح ﴿ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [(٦)] ، أى حلماء ، وقال

---

(١) سورة البقرة الآية « ٢٠٧ » .
(٢) سورة التوبة الآية « ١١١ » .
(٣) سورة فصلت الآية « ٣٤ » .
(٤) سورة آل عمران الآية « ٧٩ » .
(٥) ، (٦) سورة الفرقان الآية « ٦٣ » .

مجاهد : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [١] ، أى إذا أوذوا صفحوا .

وقد قال الحكماء :

قيل : لا صديق لمن أراد صديقاً لا عيب فيه ، وقيل لأحدهم : هل من أحد لا عيب فيه ؟ قال : من لا موت له ، وقال لقمان لابنه : يا بنى ، كذب من قال : إن الشر بالشر يطفأ ، فإن كان صادقاً فليوقد نارين ، ولينظر : هل تطفئ إحداهما الأخرى ؟ وإنما يطفئ الخير الشر ، كما يطفئ الماء النار .

ما لا يجده من نفسه لنفسه :

إما أن يكون صديقاً قد استحدث نبوة [٢] ، وتغيرا ، أو أخاً قد استجد جفوة وتنكراً ، فأبدى صفحة عقوقه ، وعدل عن بر الإخاء إلى جفوة الأعداء ، فهذا قد يعرض فى المودات المستقيمة كما تعرض الأمراض فى الأجسام السليمة فإن عولجت أقلعت ، وأن أهملت أسقمت وأتلفت ، ولا تكن كامرئ قابل على الجفوة ، وعاقب على الهفوة ، وأطرح سالف الحقوق ، وقابل العقوق بالعقوق ، فلا بالفضل أخذ ، ولا إلى العفو أخلد ، وقد علم أن نفسه قد تطغى عليه فترديه ، وأن جسمه قد يسقم عليه فيؤلمه ويؤذيه ، وهما أخص به وأحنى عليه من صديق أو أخ قد تميز بذاته ، وانفصل بأدواته ، فيريد من غيره لنفسه ما لا يجده من نفسه لنفسه ، هذا عين المحال ومحض الجهل .

عن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : [**لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا [٣] ، وكونوا عباد الله إخواناً**] [٤] ، عن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه

---

(١) سورة الفرقان الآية « ٧٢ » .

(٢) بنوة : عملاً خارج عند الحد اللائق مجانباً للذوق .

(٣) تدابروا : المعاداة وقيل المقاطعة لأن كل واحد يولى صاحبه دبره .

(٤) صحيح البخارى وصحيح مسلم ، باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر .

أن رسول الله ﷺ قال : [لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالى، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام] [١] .

ومن المسامحة المسامحة فى الأموال :

فإن من أراد كل حق من النفوس المستصعبة بشح أو طمع ، لم يصل إليه إلا بالمنافرة والمشاقة ، والأليق لأمور المروءة والعفو استطلاف النفوس بالمباشرة والمسامحة ، وتألفها بالمقاربة والمساهلة فمن عاشر إخوانه بالمسامحة دامت له مودتهم .

وإذا كان الكريم قد يجود بما تحويه يده ، وينفذ فيه تصرفه ، كان أولى أن يجود بما خرج من يده فطاب نفساً بفراقه ، وقد تصل المسامحة فى الحقوق إلى من لا يقبل البر ويأبى الصلة ، فيكون أحسن موقعاً وأزكى محلاً .

كمال المسامحة :

قال ابن القيم : ما يذكر أن رجلاً نام من الحاج فى المدينة ، ففقد هيمياناً [٢] ، فيه ألف دينار ، فقام فزعاً ، فوجد جعفر بن محمد ، فعلق به وقال : أخذت هيميانى ؟ فقال : أى شيء كان فيه ؟ قال : ألف دينار ، فأدخله داره ووزن له ألف دينار ، ثم إن الرجل وجد هيميانه ، فجاء إلى جعفر معتذراً بالمال ، فأبى أن يقبله منه ، وقال : شيء أخرجته من يدى لا أسترده أبداً ، فقال الرجل للناس : من هذا ؟ فقالوا : هذا جعفر بن محمد رضي الله عنه [٣] .

---

(١) صحيح البخارى وصحيح مسلم باب تحريم الهجرة فوق ثلاث أيام بلا عذر شرعى .
(٢) الهيميان : كيس للنفقة يشد فى الوسط .
(٣) مدارج السالكين ٣٨٠ – ٣٨١ جـ ٢ .

ولننظر سوياً إلى ما قاله الله تعالى حاكياً على لسان يوسف عليه السلام ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) ﴾ [١] ، قال ابن القيم : لم يقل : أخرجنى من الجب ، حفظاً للأدب مع إخوته وتفتياً [٢] عليهم ، لأن لا يخجلهم بما جرى فى الجب ، وقال : ﴿ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾ ، ولم يقل : رفع عنكم جهد الجوع والحاجة أدباً معهم ، وأضاف ما جرى إلى السبب ولم يضفه إلى المباشرة الذى هو أقرب إليه منه ، فقال : ﴿ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ ، فأعطى السماحة والعفو والكرم والإحسان والأدب حقه [٣] ، مع قدرته على الانتقام منهم ولكنه قال : قال الله تعالى على لسان يوسف : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) ﴾ [٤] ، هذا مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه ، أو حتى تذكرتهم بفعلهم .

ولا تستوى الحسنة ولا السيئة :

الحسنة لا يستوى أثرها ، كما لا تستوى قيمتها مع السيئة ، والصبر والتسامح والاستعلاء على رغبة النفس فى مقابلة الشر بالشر ، يرد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة ، فتنقلب من الخصومة إلى الولاء ، ومن الجماح

---

(١) سورة يوسف الآية « ١٠٠ » .
(٢) الفتوة : السماحة والكرم والسخاء .
(٣) مدارج السالكين : ٣٨٠ ، ٣٨١ جـ ٢ .
(٤) سورة يوسف الآية « ٩٢ » .

إلى اللين ، قال تعالى : ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١) .

صدق الله العظيم وتصْدُقْ هذه القاعدة فى الغالبية الغالبة من الحالات وينقلب الهياج إلى وداعة ، والغضب إلى سكينة ، والتبجح إلى حياء ، على كلمة طيبة ، ونبرة هادئة ، وبسمة حانية فى وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمام ! .

ولو قوبل بمثل فعله إزداد هياجاً وغضباً وتبجحاً ومُروداً ، وخلع حياءه نهائياً ، وأفلت زمامه ، وأخذته العزة بالإثم ، وانتصر الشيطان وضحك ، غير أن تلك السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسامح وهو قادر على الإساءة والرد ، وهذه الدرجة ، درجة دفع السيئة بالحسنة ، والسماحة التى تستعلى على دفعات الغيظ والغضب ، والتوازن الذى يعرف متى تكون السماحة ، ومتى يكون الدفع بالحسنى ... ، درجة عظيمة لا يلقاها كل إنسان ، فهى فى حاجة إلى الصبر ، وهى كذلك حظ موهوب يتفضل به الله على عباده الذين يحاولون ويصبرون فيستحقون وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٢) ، قال قتادة ومجاهد : الحظ العظيم الجنة ، وقال الحسن : والله ما عظُمَ حظ قط دون الجنة ، إنها درجة عالية إلى حد أن رسول الله ﷺ وهو الذى لم يغضب لنفسه قط ، وإذا غضب لله لم يقم لغضبه أحد ، قيل له وهو الأسوة الحسنة ، وقيل لكل مسلم ، فكلنا مطالبين باتباعه ، واتباع كل ما جاء فى القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ

---

(١) سورة فصلت الآية « ٣٤ » .

(٢) سورة فصلت الآية « ٣٥ » .

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) ﴾ [١] .

فالغضب قد ينزغ ، وقد يلقى فى الروع قلة الصبر على الإساءة ، أو ضيق الصدر عن السماحة ، فالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم حينئذ وقاية ، تدفع محاولاته لاستغلال الغضب والنفاذ من ثغرته .

إن خالق هذا القلب البشرى ، الذى يعرف مداخله ومساربه ، ويعرف طاقته واستعداده ومواطن ضعفه ، ويعرف من أين يدخل الشيطان إليه ، يحوط هذا القلب من نزغات الغضب ، أو نزغات الشيطان .

وفى تفسير القرطبى : قال ابن عباس : أمره الله تعالى فى هذه الآيات بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل ، والعفو والإحسان عند الإساءة ، فإذا فعل الناس ذلك عصمهم الله من الشيطان ، وخضع لهم عدوهم .

وروى أن رجلاً شتم قنبراً مولى علىّ بن أبى طالب ، فناداه علىّ يا قنبر ! دع شاتمك ، وآله عنه ترض الرحمن وتسخط الشيطان ، وتعاقب شاتمك ، فما عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه .

وأنشدوا :

والكف عن شتم اللئيم تكرُّماً ... أضرُّ له من شتمه حين يَشْتُمُ

وقال آخر :

وما شيء أحب إلى سفيه ... إذا سب الكريم من الجواب

متاركة السفيه بلا جواب ... أشد على السفيه من السباب

---

(١) سورة فصلت الآية « ٣٦ » .

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [(١)] :

عن أبى هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : [**لا يشر أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزغ فى يده فيقع فى حفرة من النار**] [(٢)] .

قال الحافظ فى الفتح :

فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزغ فى يده : نزغ الشيطان بين القوم نزغاً فحمل بعضهم على بعض بالفساد .

والمراد أن يغرى بينهم حتى يضرب أحدهما الآخر بسلاحه فيحقق الشيطان بذلك ضربته له .

قال ابن التين : معنى ينزغه يقلعه من يده فيصيب به الآخر ، أو يشد يده فيصيبه .

قال النووى : يرمى به فى يده ويحقق ضربته فهو من الإغراء : أى يزين له تحقيق الضربة فيقع فى حفرة من النار .

عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب ، ولكن فى التحريش بينهم**] [(٣)] ، وقال تعالى على لسان يوسف عَلَيْهِ السَّلَام : ﴿ **مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي** ﴾ [(٤)] ، وقال تعالى : ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ**

---

(١) سورة الإسراء الآية « ٥٣ » .
(٢) متفق عليه ، صحيح البخارى ٧٠٧٢ ، وصحيح مسلم ١٦١٧ .
(٣) سورة يوسف الآية « ١٠٠ » .
(٤) صحيح مسلم بشرط النووى باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس .

الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) ﴾ [١] ، أن يقولوا الكلمة الطيبة ، وينطقوا دائماً بالحسنى ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [٢] ، على وجه الإطلاق وفى كل مجال ، فيختاروا أحسن ما يقال فى كل موقع ليقولوه ، بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة ، فالشيطان ينزع بين الأخوة بالكلمة الخشنة تفلت ، والرد السيىء يتلوها ، فإذا جو الود والمحبة والأخوة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء .

والكلمة الطيبة تداوى جراح القلوب ، وتُندِّى جفافها ، تجمعها على الود الكريم والمحبة .

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) ﴾ [٣] ، يلتمس سقطات فمه وعثرات لسانه بل وكل عثراته ، فيغرى بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه ، وبين المرء وأرحامه وجيرانه وأصدقائه والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات ، وتقطع عليه الطريق وتحفظ حرم الأخوة والمحبة والود آمناً من نزغاته ونفثاته .

ابتغوا الرفعة عند اللـه :

قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبى ﷺ : [**ابتغوا الرفعة عند الله**] ، قالوا : وماهى يارسول الله ؟ قال : [**تصل من قطعك وتعطى من حرمك ، وتحلم عمن جهل عليك**] [٤] .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : إن رجلاً قال : يارسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ ، وأحلمُ عنهم ويجهلون علىّ ، فقال ﷺ : [**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل**] [٥] .

(١) ، (٢) ، (٣) سورة الإسراء الآية « ٥٣ » .
(٤) أخرجه الحاكم والبيهقى .
(٥) الملّ : بفتح الميم الرماد الحار .

وفى شرح النووى : وقوله أحلمُ عنهم بضم اللام ويجهلون أى يسئون ، والجهل هنا القبيح من القول ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم ، ولا شىء على هذا المحسن ، بل ينالهم الإثم العظيم فى قطيعته وإدخالهم الأذى عليه ، وقيل هذا الذى يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشاءهم ، والله أعلم .

وقال ﷺ : [**ليلينى منكم ذوو الأحلام والنُّهىَ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، وإياكم وهيشات الأسواق**] (١) .

جاء إلى النبى ﷺ زيد بن سعنة أحد أحبار اليهود بالمدينة ، جاءه يتقاضاه ديناً له على النبى ﷺ فجذب ثوبه من منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وقال مغلّظاً القول : إنكم يابنى عبد المطلب مُطلّ (٢) ، فانتهره عمر وشدد له فى القول ، والنبى ﷺ يبتسم ، وقال ﷺ : [**أنا وهو كنا إلى غير ذلك أحوج منك ياعمر ، تأمرنى بحسن القضاء ، تأمره بحسن التقاضى**] ، ثم قال : [**لقد بقى من أجله ثلاث**] ، وأمر عمر أن يقضيه ماله ويزيد عشرين صاعاً لما روعه ، فكان هذا سبب إسلامه فأسلم ، وكان قبل ذلك يقول : ما بقى من علامات النبوة شىء إلا عرفته فى محمد ﷺ إلا اثنين لم أُخبَرْهُما : يسبق حلمه جهله ، ولا تزيده شدة الجهل إلا حلماً ، فاختبره بهذه الحادثة فوجده كما وُصف (٣) .

وروى أنه وفد على النبى ﷺ الأشج فأناخ راحلته ثم عقلها وطرح عنه

---

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود دون قوله : « ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، فهى عند أبى داود والترمذى وحسنه وهى عند مسلم فى حديث آخر لابن مسعود .
(٢) مُطلّ : أجل موعد الوفاء بالدين مرة بعد أخرى .
(٣) من كتاب هذا الحبيب يا محمد أبو بكر الجزائرى .

ثوبين كانا عليه ، وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما ، وذلك بعين رسول الله ﷺ يرى ما يصنع ، ثم أقبل يمشى إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ : [**إن فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله**] ، قال : ما هما بأبى أنت وأمى يارسول الله ؟ ، قال : [**الحلم والأناة**] ، فقال : خلتا تخلقتهما أو خلقان جبلت عليهما ، فقال ﷺ : [**بل خلقان جبلك الله عليهما**] ، فقال : الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله] (١) .

وفى الأثر :

قال بعضهم : شتمت فلاناً من أهل البصرة فحلم علىّ فاستعبدنى بها زماناً ، وقال معاوية لعرابة بن أوس : بم سدت قومك ياعرابة ؟ قال : يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم ، وأعطى سائلهم ، وأسعى فى حوائجهم ، فمن فعل فعلى فهو مثلى ، ومن جاوزنى فهو أفضل منى ، ومن قصر عنى فأنا خير منه (٢) .

وسب رجل ابن عباس] فلما فرغ قال : يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها ؟ فنكس الرجل رأسه واستحيا (٣) .

وقال لقمان : ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا أخ إلا عند الحاجة إليه (٤) .

نفائس عطرة من حلم سلفنا :

قيل : إن أبا إسحاق نزع عمامته ، وكانت بعشرين ديناراً ، وتوضأ فى

---

(١) متفق عليه .
(٢) ، (٣) ، (٤) الإحياء ٣ / ٢٧٨ ، .

دجلة ، فجاء لص فأخذها وترك عمامة رديئة بدلها ، فطلع الشيخ فلبسها وما شعر حتى سألوه ، وهو يُدَرِّسْ ، فقال : لعل الذى أخذها محتاج [(١)] .

وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله : يامرائى ، فقال : يا هذه ، وجدت إسمى الذى أضله أهل البصرة [(٢)] .

خرج إبراهيم بن أدهم إلى بعض البرارى ، فاستقبله رجل جندىٌ ، فقال : أنت عبد ؟ ، قال : نعم ، فقال له : أين العمران ؟ فأشار إلى المقبرة ، فقال الجندى : إنما أردت العمران ؟ فقال : هو المقبرة ، فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ، ورده إلى البلد فاستقبله أصحابه ، فقالوا : ما الخبر ؟ فأخبرهم الجندى ما قال له ، فقالوا : هذا إبراهيم بن أدهم ؟ ، فنزل الجندى عن فرسه وقبَّل يديه ورجليه ، وجعل يعتذر إليه ، فقيل بعد ذلك له : لم قلت له ؟ أنا عبد ؟ ، فقال : إنه لم يسألنى : عبد من أنت بل قال : أنت عبد ؟ فقلت : نعم لأنى عبد الله ، فلما ضرب رأسى سألت الله له الجنة ، فقيل : كيف وقد ظلمك ؟ ، فقال : علمت أننى أؤجر على ما نالنى منه ، فلم أرد أن يكون نصيبى منه الخير ونصيبه منى الشر [(٣)] .

وقيل للأحنف بن قيس : من أين تعلمت الحلم ؟ فقال : من قيس بن عاصم ، قيل : وما بلغ حلمه ؟ قال : بينما هو جالس فى داره ، إذ أتته جارية بسفود [(٤)] عليه شواء فسقط من يدها ، فوقع على ابن له صغير فمات ،

---

(١) انظر الترجمة فى السير ١٨ / ٤٦٤ .
(٢) الإحياء ١١٦/٣ .
(٣) الإحياء ١١٦/٣ .
(٤) السفود : الحديدة التى يشوها بها اللحم .

فـدهشت [١] الجاريـة ، فقال لهـا : لا روع عليك ، أنـتِ حرّة لوجـه الله تعالى [٢] .

وكان ليحيى بن زياد الحارثى غلام سوء ، فقيل له : لم تمسكه ؟، فقال: لأتعلم الحلم عليه [٣] .

دخل على بعض الحكماء صديق له فقدم إليه طعاماً ، فخرجت امرأة الحكيم ، وكانت سيئة الخلق ، فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم ، فخرج الصديق مغضباً فتبعه الحكيم وقال له : أتذكر يوم كنا فى منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا ؟ ، قال : نعم ، قال : فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة فسرِّى عن الرجل غضبه وانصرف ، وقال صديق الحكيم : الحلم شفاء من كل آلم [٤] .

يروى فى كتاب « الأدب » أن معن بن زائدة كان أميراً على العراق ، وكان حليماً كريماً يضرب به المثل فيهما ، وقد قدم عليه أعرابى يمتحن حلمه وكظمه فقال له :

أتذكـر إذ لحـافك جلد شـاه ... وإذ نعلاك من جلد البعيـر

قال : نعم ، أذكر ذلك ولا أنساه ، فقال :

فسبحان الذى أعطاك ملكاً ... وعلمك الجلوس على السرير

قال : سبحانه وتعالى ، قال :

فلست مُسلّماً إن عشت دهراً ... على معن بتسليم الأمير

---

(١) دهشت : تحيرت وتوقف تفكيرها من فرط الفزع .
(٢) الإحياء ١١٥/٣ .
(٣) الإحياء ١١٦/٣ .
(٤) الإحياء ٢٧٩/٣ .

قال : يا أخا العرب : السلام سنة ، قال :

سأرحل عن بلاد أنت فيها ... ولو جار الزمان على الفقير

قال : يا أخا العرب إن جاورتنا فمرحباً بك ، وإن رحلت فمصحوباً بالسلامة ، قال :

فجد لى ياابن ناقصة بشىء ... فإنى قد عزمت على المسير

قال : أعطوه ألف دينار يستعين بها على سفره فأخذها ، وقال :

قليل ما أتيت به وإنى ... لأطمع منك بالمال الكثير

فقال : أعطوه ألفاً آخر ، فأخذها وقال :

سألت الله أن يبقيك ذخراً ... فما لك فى البرية من نظير

فقال : أعطوه ألفاً آخر ، فقال الأعرابى : أيها الأمير ما جئت إلا مختبراً حلمك لما بغلنى عنه ، فلقد جمع الله فيك من الحلم ما لو قسم على أهل الأرض لكفاهم .

فقال معن : يا غلام كم أعطته على نظمه ؟ ، قال : ثلاثة آلاف دينار ، فقال أعطه على نثره مثلها ، فأخذها ومضى فى طريقه شاكراً .

فلقد رأيت الشجاعة وعلو الهمة وقوة العقل فى معن ، وظهر ضبط نفسه بثلاثة :

أ - الحلم : أى امتلاك نفسه عند الغضب .

ب - كبح جماح الشهوات وكظم غيظه .

جـ - صيانة اللسان [1] .

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٣ / ٤٥٢ .

وفى الحديث الصحيح ما يوضح لنا مدى الخسارة التى يخسرها من أبقى بينه وبين أخيه المسلم أية خصومة أو شحناء أو قطيعة ، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [**تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء** [(١)] ، **فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا**] [(٢)] .

وفى رواية : فيقال : [**اتركوا أو أركوا هذين حتى يفيئا**] [(٣)] .

أما المتحابين الفائزين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : [**إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى** [(٤)] ، **اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى**] [(٥)] .

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : [**أن رجلاً زار أخاً له فى قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال : أين تريد ، قال : أريد أخاً لى فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ، قال : لا غير أنى أحببته فى الله عز وجل ، قال : فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**] [(٦)] .

فى شرح النووى : « فأرصد الله على مدرجته ملكاً » أرصده أى يرقبه ،

---

(١) شحناء : الحقد والعداوة والبغضاء .

(٢) ، (٣) صحيح مسلم بشرح النووى باب النهى عن الشحناء .

(٤) المتحابون بجلالى أى بعظمتى وطاعتى لا للدنيا .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى باب فضل الحب فى الله تعالى .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى باب فضل الحب فى الله تعالى .

والمدرجة هى الطريق سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها أى يمشون ، وقوله « لك عليه من نعمة تربها » أى تقوم بإصلاحها ، وتنهض إليه بسبب ذلك ، أما قوله : « بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » ، قال العلماء محبة الله عبده هى رحمته له ورضاه عنه وإرادته له الخير ، وأن يفعل به فعل المحب فى الخير .

﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾

تذكروا أحبائى فى الله أن القرآن العظيم رسالة من الله إلى عباده المؤمنين ، تنبض بالحب ، إن الله سبحانه وتعالى منَّ علينا بهذا القرآن ، وأمرنا بتدبره ، وأرشدنا فيه إلى المقاصد الصحيحة ، لنتعلمه ونعيشه ويكون خُلُقَنا وعيشنا القرآن قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (١) ، ليعيه ذووا العقول والنهى .

قال الحسن البصرى : والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول : قرأت القرآن كله ما يُرى له القرآن فى خُلق ولا عمل (٢) ، إنه من تدبر آيات القرآن ، وجدها حلوة غنية بجمال تسلسلها وعرضها للمضمون والمحتوى بمنتهى الشمول والوضوح ، مع الترغيب فى عمل الخير والترهيب من عمل الشر ومصير هؤلاء وهؤلاء جنة أو نار .

لذلك أردت أن أغنى رسالتى هذه بنموذج من هذه الآيات الشريفة بمعانيها وإرشادها ونصحها ، والآيات فى سورة الشورى من آية ٣٩ ، ٤٧ .

الإنتصار من الظلم :

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٣) ، والذى يقتضيه ظاهر الآية أن للمظلوم أن ينتصر من ظالمه ، ولكن مع اقتصاد

---

(١) سورة ص الآية « ٢٩ » .

(٢) رواه ابن أبى حاتم تفسير القرآن العظيم ابن كثير .

(٣) سورة الشورى الآية « ٣٩ » .

وحذر لأن الآية التى تليها ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [(١)] ، هذا هو الأصل فى الجزاء مقابلة السيئة بالسيئة ، إذ الانتصار محدد بالمثل ، مع العلم أن تحديد هذه المثلية بالضبط من ناحية الإيلام ، البدنى والنفسى وذلك يصعب على كثير من البشر والله أعلم إلا فى قليل من الناس الذين يتمتعون بقدر كبير من الأناة والتحكم فى أنفسهم .

ولكن وفى نفس الآية ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [(٢)] ، إنه ترغيب فى العفو والسماحة ، وإغراء بما عند الله من الأجر والثواب ، وإصلاح النفس من الغيظ ، وتنقيه القلوب من الأحقاد .

إنه العفو مع المقدرة على جزاء السيئة بالسيئة ولكن ما عند الله خير وأبقى، فهنا يكون للعفو وزنه ووقعه فى إصلاح المعتدى والمسامح سواء ، فالمعتدى حين يشعر بأن العفو جاء سماحة ولم يجيء ضعفاً يخجل ويستحى ويحس بأن خصمه الذى عفا هو الأعلى ، والقوى الذى يعفو تصفو نفسه وتعلو وترتقى ، فالعفو عندئذ خير لهذا وهذا .

إنه لا توجد أى وجه من أوجه المقارنة بين من يأخذ حقه بنفسه وينتصر ويذهب جزء من طيباته فى هذه الحياة الدنيا مع العلم بأن إحساسه بهذا الانتصار يفنى بعد انتهاؤه منه ولا يبقى معه بعد ذلك سوى الفرق فى قدر القصاص والتشفى ويكون هذا الفرق إما له وأما عليه ، فإن كان له فقد انتقص ذلك من أجره عند الله ، وأما إن كان عليه فهذه هى الخسارة الكبرى، وفى

---

(١) ، (٢) سورة الشورى الآية « ٤٠ » .

كلتا الحالتين فهى خسارة وإن كانت خسارة أقل من أختها لأنه من ﴿ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [(١)] ، هذا هو الفوز الذى لا يفنى ولا يقارن بأى من الخسارتين أن يترك حقه لله .

وإليكم الآية ، قال تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [(٢)] .

وتأتى بعد ذلك الآية التى تليها فتكرر للتأكيد أن من انتصر بعد ظلمه فلا سبيل عليه ولا لوم ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [(٣)] ، فالذى ينتصر بعد ظلمه ، ويجزى السيئة بالسيئة مثلها ، ولا يعتدى ، ليس عليه جناح ، وهو يزاول حقه المشروع ، فما لأحد عليه من سلطان ، أخذ حقه بنفسه .

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [(٤)] ، هم الذين يظلمون الناس ، ويبغون فى الأرض بغير الحق سواء البادون فى الظلم المعتدون أو المنتصرون مع الجور والزيادة والظلم ، يتوعدهم الله سبحانه وتعالى بالعذاب الأليم ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

ثم تعود الآيات إلى الترغيب فى التوزان والاعتدال وضبط النفس والصبر

---

(١) ، (٢) سورة الشورى الآية « ٤٠ » .
(٣) سورة الشورى الآية « ٤١ » .
(٤) سورة الشورى الآية « ٤٢ » .

والسماحة ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) ﴾ [(١)] ، هذه هى القوة والانتصار على النفس وهواها وشيطانها ، إنه الاعتدال والتوزان بين الإتجاهين ، صيانة النفس من الحقد والغيظ ، ومن الضعف والذل ، ومن الجور والبغى ، إنه تعلق النفس بالله وبرضاه فى كل حال ، أن تجعل الصبر هو زاد الرحلة الأصيل ، هؤلاء هم المؤمنون الذين أجرهم على الله ، الذين يدخر الله لهم عنده ماهو خير وأبقى .

أما الظالمين الضالين ، وما ينتظرهم من ذل وخسران ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (٤٤) ﴾ [(٢)] ، إن قضاء الله لا يرد ، ومشيئته لا معقب عليها ، فإن علم الله المطلق لحقيقة العبد أنه مستحق للضلال ، فحقت عليه كلمة الله أن يكون من أهل الضلال ، ولم يكن له بعد ذلك من ولى يهديه من ضلاله ، أو ينصره من جزاء الضلال لأنه ظالم ، والظالمون كانوا طغاه بغاه ، فناسب طغياتهم وبغيهم أن يكون الذل هو مظهرهم البارز فى يوم الجزاء .

إنهم حين يرون العذاب ، يتهاوى كبرياؤهم ويتساءلون فى انكسار ﴿ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾ ، إنه اليأس مع اللهفة والانهيار مع التطلع إلى أىّ بارقة للخلاص ؟ .

﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ

---

(١) سورة الشورى الآية « ٤٣ » .
(٢) سورة الشورى الآية « ٤٤ » .

الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾[1] ، وهم يعرضون على النار ﴿ خَاشِعِينَ ﴾ ، لا من التقوى ولا من الحياء ، ولكن من الذل والهوان ! وهم يعرضون منكسى رؤوسهم والأبصار ، لا يرفعون أعينهم من الذل والعار ﴿ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ ، فياحسرة عليهم ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ﴾[2] ، فقد عدم النصير ، وقد أغلق السبيل .

وبعد أن فصّل الله سبحانه وتعالى لنا فى هذه الآيات من التبصرة والتذكرة والترغيب والترهيب ، ومصير هؤلاء وهؤلاء ، منّ الله على عباده المعاندين المكابرين بأن أنار لهم الطريق من جديد ليستجيبوا لربهم قبل أن يفجأهم مثل هذا المصير فلا يجدوا لهم ملجأ يقيهم ، ولا نصير ينقذهم من مصيرهم الأليم ، وقال تعالى : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾[3] .

﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ ﴾[4] :

فمن مسه الضر فى فتنة من الفتن ، وفى ابتلاء من الابتلاءات ، وفى ظلم من ظالمين ، فليثبت ولا يتزعزع ، ولتقوى ثقته برحمة الله وعونه ، وقدرته على كشف الضراء ، وقدرته على الظالمين ، وإمهاله لهم وسوف يأخذهم أخذ عزيز

(١) سورة الشورى الآية « ٤٥ » .
(٢) سورة الشورى الآية « ٤٦ » .
(٣) سورة الشورى الآية « ٤٧ » .
(٤) سورة الحج الآية « ١٥ » .

مقتدر ، وليكن فى ثقة تامة بوعده للمظلومين بالنصر والعوض والجزاء فى الدنيا والآخرة .

فأما من يفقد ثقته فى نصر الله فى الدنيا والآخرة ، ويقنط من عون الله له فى المحنة حين تشتد ، فدونه فليفعل بنفسه ما يشاء ، وليذهب بنفسه كل مذهب ، فما من شيء من ذلك بمبدل ما قدره الله من البلاء إلا بمشيئة الله ، قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ ﴾ [1] ، إن لغيظ النفس ؛ وللحركات المصاحبة لذلك الغيظ ما يجسم هذه الحالة التى يبلغ فيها الضيق بالنفس أقصاه عندما ينزل بها الضر أو الظلم وهى على غير اتصال بالله .

والذى ييأس فى الضر من عون الله يفقد كل نافذة مضيئة ، وكل رجاء فى الفرج ، وينشط الشيطان وينفث فى قلبه ، ويستبد به الضيق ، ويثقل على صدره الكرب ، فيزيد هذا كله من وقع الكرب والبلاء .

فمن كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بحبل إلى السماء يتعلق به أو يختنق ، ثم ليقطع الحبل فيسقط أو ليقطع النفس فيختنق ، ثم لينظر هل ينقذه تدبيره ذاك مما يغيظه !! .

ألا إنه لا سبيل إلى احتمال البلاء والصبر عليه إلا بالرجاء فى نصر الله ، ولا سبيل إلى الفرج إلا بالتوجه إلى الله ، ولا سبيل إلى الاستعلاء على الضر والانتقام إلا بالاستعانة بالله ، ولا سبيل إلى الصبر والاستكانة إلى الله إلا بالله ، وكل حركة يائسة لا ثمرة لها ولا نتيجة إلا زيادة الكرب ، ومضاعفة الشعور به ، والعجز عن دفعه بدون عون الله ، فليستبق المكروب تلك النافذة المضيئة التى تنسم عليه من روح الله ورحمته ونصره .

---

(١) سورة الحج الآية « ١٥ » .

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) ﴾ [١] .

ها نحن وصلنا سوياً إلى نهاية الرسالة ، فما علينا الآن سوى التَّذَكُّر لنعى كل ما جاء في موضوعنا ، حتى يستمد القلب منه الإعانة على تكملة المسيرة التى أتمنى أن تكون نهايتها جنة الفردوس إن شاء الله ، فما عليك قارئى الفاضل غير أن تجمع أشتاتك بكل عقل حاضر ، وقلبٍ واعٍ ، وإحساسٍ قوى لما قرأته سابقاً حتى تعى ماهو آت لاحقاً .

قال ابن القيم : [٢]

للعبد أحد عشر مشهداً فيما يصيبه من أذى الخلق وجنايتهم عليه :

١ - مشهد القدر :

هو مشهد القدر وأن ما جرى عليه بمشيئة الله وقضائه وقدره فيراه كالتأذى بالحر والبرد والمرض والألم ، وهبوب الرياح وانقطاع الأمطار ، فإن الكل أوجبته مشيئة الله تعالى ، فما شاء الله كان ووجب وجوده ، وما لم يشأ لم يكن وامتنع وجوده ، وإذا شهد هذا استراح ، وعلم أنه كائن لا محالة ؛ فما للجزع منه وجه ، وهو كالجزع من الحر والبرد والمرض والموت [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [٤] ، وقال : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴾ [٥] ، قال بعض العارفين لرجل

(١) سورة الذاريات الآية « ٥٥ » .
(٢) هذا الباب من كتاب صلاح الأمة فى علو الهمة ح ٥ .
(٣) مدارج السالكين .
(٤) سورة الإنسان الآية « ٣٠ » .
(٥) سورة التكوير الآية « ٢٩ » .

تعدى عليه وظلمه : إن كنت ظالماً فالذى سلّطك علىّ ليس بظالم [(١)] .

٢ - مشهد الصبر :

فيشهده ويتيقن وجوبه ، وحسن عاقبته وجزاء أهله ، قال تعالى : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾ [(٢)] ، وقال : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) ﴾ [(٣)] ، وما يترتب عليه من الغبطة والسرور ، فيخلصه ذلك من ندامة المقابلة والانتقام ؛ فما انتقم أحد لنفسه قط إلا أعقبه ذلك ندامة ، وعلم أنه إن لم يصبر اختياراً على هذا - وهو محمود - صبر اضطراراً على أكبر منه وهو مذموم [(٤)] .

وشتم رجل الربيع بن خثيم : فقال له : يا هذا قد سمع الله كلامك ، وإن دون الجنة عَقَبَة ، إن قطعتها لم يضرنى ما تقول ، وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول .

وقال على بن زيد : أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول ، فأطرق عمر زماناً طويلاً ثم قال : أردت أن يستفزنى الشيطان بعز السلطان ، فأنال منك اليوم ما تناله منى غداً .

٣ - مشهد العفو والصفح والحلم :

فإنه متى شهد ذلك وفضله وحلاوته وعزته ، لم يعدل عنه إلا لعشى [(٥)]

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ٣١٨ .
(٢) سورة النحل الآية « ٩٦ » .
(٣) سورة الزمر الآية « ١٠ » .
(٤) مدارج السالكين ٢ / ٣١٩ .
(٥) عشى فى بصيرته : عمى فى بصيرته فلا يرى الخير خير فيعمله ولا يرى الضر ضر فيمتنع عنه .

فى بصيرته ؛ فإنه [ما زاد الله عبداً بعفوا إلا عزاً] [١] ،كما صح ذلك عن النبى ﷺ وعُلِمَ بالتجربة والوجود ، وما انتقم أحد لنفسه إلا ذل .

هذا وفى الصفح والعفو والحلم ؛ من الحلاوة والطمأنينة والسكينة وشرف النفس ،وعزها ورفعتها عن تشفيها بالانتقام : ما ليس شىء منه فى المقابلة والانتقام .

الأحنف بن قيس ومن يضرب به المثل فى الحلم :

قال أحنف رحمه الله : وجدت الحلم أنصر لى من الرجال ، وقال له رجل : علمنى الحلم يا أبا بحر ، فقال : هو الذل يا ابن أخى ، أتصبر عليه ؟؟ وقال رحمه الله : لست حليماً ولكننى أتحالم [٢] .

ومن أخبار حلمه : أن رجلاً شتمه فسكت عنه ، وأعاد الرجل فسكت عنه ، وأعاد فسكت عنه ، فقال الرجل : والهفاه ؟ ما يمنعه من أن يرد علىّ إلا هوانى عنده [٣] .

وشتمه رجل وجعل يتبعه حتى بلغ حيَّهُ ، فقال الأحنف : يا هذا ، إن كان بقى فى نفسك شىء فهاتِه وانصرف ؛ لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره .

ما أحلمه وما أعلمه ، صبر وحلم على شاتمه إلى أن وصل إلى حيه الذى يسكنه ، وخاف عليه أن يسمعه أحد جيرانه من الحي فيرد عليه ، وينتقم منه ، ووصف من يرد أو ينتقم بأنه سفيه ، قال : لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما

---

(١) متفق عليه ، سبق تخريجه .
(٢) العقد الفريد ١ / ٢٨٧ .
(٣) عيون الأخبار ١ / ٢٨٣ .

تكره ، وكان رحمه الله يقول : من لم يصبر على كلمة سمع كلمات وربَّ غيظ قد تجرعته مخافة ما هو أشد منه [(١)] .

قيس بن عاصم المنقرى : وحلمه العجيب الذى يتعلمه الأحنف ، قال الأحنف بن قيس : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقرى ؛ لأنه قتل ابن أخ له بعض بنيه ، فأُتى بالقاتل مكتوفاً يُقاد إليه ، فقال : ذعرتم الفتى !! ثم أقبل على الفتى فقال : بئس ما فعلت!! نقصت عددك ، وأوهنت عضدك ، وأشمت عدوك ، وأسأت بقومك ، وأثِمت بربك ، وقطعت رحمك، ورميت نفسك بسهمك ، خلّوا سبيله ، واحملوا إلى أم المقتول ديته ؛ فإنها غريبة ! ، ثم انصرف القاتل وما حلَّ قيس حبْوتَه [(٢)] ولا تغير وجهه [(٣)] .

قال معاوية رضي الله عنه : لا يبلغ الرجل مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم .

وقال رجل لمالك بن دينار : بلغنى أنك ذكرتنى بسوء ؟! قال : أنت أكرم علىّ من نفسى ، إنى إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتى .

وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه ، فلم يغضب ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أقمتُه مقام حجر تعثرت به ، فذبحت الغضب .

أما العفو : فقد قال بعضهم إذا أراد الله أن يُتحف عبداً ، قيض له من يظلمه ، وقال بعضهم : ليس الحليم من ظُلِم فحلَم ، حتى إذا قدر انتقم ،

---

(١) عيون الأخبار ١ / ٢٨٤ ، ٢٨٧ ؛ .
(٢) الحبوة : الاحتباء ، يقال : حل فلان حبوته ، ما يحتبى به من ثوب وغيره .
(٣) وفيات الأعيان ٢ / ١٨٨ ، والبداية والنهاية ٨ / ٣٢٧ .

ولكن الحليم من ظُلم فحلم ، حتى إذا قدر عفا ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [(١)] .

وإخوة يوسف باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم ، فلما كمل له أمره ، وجمع أهله قال الله تعالى على لسان يوسف : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) ﴾ [(٢)] .

٤ – مشهد الرضا :

وهو فوق مشهد العفو والصفح ، وهذا لا يكون إلا للنفوس المطمئنة ، سيّما إن كان ما أصيبت به سببه القيام لله ، فإذا كان ما أصيب به فى الله وفى مرضاته ومحبته ؛ رضيت بما نالها فى الله ، وهذا شأن كل محب صادق يرضى بما يناله فى رضا محبوبه من المكاره ، ومتى تسخّط به وتشكّى منه ، كان ذلك دليلاً على كذبه فى محبته ، والواقع شاهد بذلك ، والمحب الصادق كما قيل :

من أجلكَ جعلتُ خدِّي أرضاً ... للشامت والحسودِ حتى ترضى

ومن لم يرض بما يصيبه فى سبيل محبوبه ، فلينزل عن درجة المحبة ، وليتأخر ؛ فليس من ذا الشأن .

٥ – مشهد الإحسان :

وهو أرفع مما قبله ، وهو أن يقابل إساءة المسيء إليه بالإحسان ، فيحسن إليه كلما أساء هو إليه ، ويهون هذا عليه علمه بأنه قد ربح عليه ، وأنه قد

(١) سورة البقرة الآية « ٢٣٧ » .
(٢) سورة يوسف الآية « ٩٢ » .

أهدى إليه حسناته ، ومحاها من صحيفته ، وأثبتها فى صحيفة من أساء إليه ، فينبغى لك أن تشكره ، وتحسن إليه بما أحسن به إليك .

وهاهنا ينفع استحضار مسألة اقتضاء الهبة والثواب ، وهذا المسكين قد وهبك حسناته . فإن كنت من أهل الكرم فَأَثِبْهُ عليها ، لتثبت الهبة ، وتأمن رجوع الواهب فيها ، وفى هذا حكايات معروفة عن أرباب المكارم ، وأهل العزائم .

ومقابلة الإساءة بالإحسان من فضائل أعمال المقربين ، واختيار الصديقين ومنتهى درجات الصالحين .

قال إبراهيم التيمى : إن الرجل ليظلمنى فأرحمه ، وهذ إحسان وراء العفو؛ لأنه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم ، وأنه يطالب يوم القيامة ، فلا يكون له جواب .

وقال الفضيل : ما رأيت أزهد من رجل من أهل خرسان جلس إلىّ فى المسجد ، ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه ، فجعل يبكى ، فقلت : أعلى الدنانير تبكى ؟ فقال : لا ، ولكن مثّلتُنى وإياه بين يدى الله عز وجل ، فأشرف عقلى على إدحاض حجّته ، فبكائى رحمة به !! [(١)] .

الرُبَيّعُ بن خثيم يدعو لسارقه :

اشترى الربيع رحمه الله فرساً بثلاثين ألفاً فغزا عليها ، ثم أرسل غلامه يسار يحتشُ وقام يصلى ، وربط فرسه ، فجاء الغلام فقال : يا ربيع أين

(١) الإحياء ١٩٥/٣ ، ١٩٦ .

فرسك ؟ قال : سرقت يايسار ، قال : وأنت تنظر إليها !! قال : نعم يايسار ، إنى كنت أناجى ربى عز وجل فلم يشغلنى عن مناجاة ربى شىء ، اللهم إنه سرقنى ولم أكن لأسرقه ، اللهم إن كان غنياً فاهدِه ، وإن كان فقيراً فأغنه ، ثلاث مرات [(١)] .

لله درك يا أبا يزيد !! والله إن الكلمات لتعجز عن تصوير جلال هذا المشهد ؛ « أما والله لو رآك محمد ﷺ ياربيع ، لفرح بك » ، هكذا قال أستاذك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

٦ - مشهد السلامة وبرد القلب :

وهذا مشهد شريف جداً لمن عرفه وذاق حلاوته ، وهو أن لا يشتغل قلبه بما ناله من الأذى ، وطلب الوصول إلى درك ثأره وشفاء نفسه ، بل يُفرِّغ قلبه من ذلك ، ويرى أن سلامته وبرده وخلوّه منه أنفع له ، وألذ وأطيب ، وأعون على مصالحه ؛ وأن قلبه أرقى وأرفع من التفكير فى تلك السفاسف ، فإن القلب إذا اشتغل بشىء فاته ماهو أهم عنده ، وخير له منه ، فيكون بذلك مغبوناً ، والرشيد لا يرضى بذلك ، ويرى أنه من تصرفات السفيه ، فأين سلامة القلب من امتلائه بالغل والوساوس ، وإعمال الفكر فى إدراك الانتقام ؟! .

٧ - مشهد الأمن :

فإنه إذا ترك المقابلة والانتقام ، أمن ماهو شر من ذلك ، وإذا انتقم واقَعهُ الخوف ولابد ؛ فإن ذلك يزرع العداوة وينميها ، والعاقل لا يأمن عدوّه ولو

(١) الزهد لابن حنبل ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ومختصر قيام الليل للمقريزى ص ٢٧ .

كان حقيراً ، فكم من حقير أردى عدوه الكبير !! فإذا غفر ولم ينتقم ولم يقابل ، أمن من تولد العداوة أو زيادتها ، ولابد أن عفوه وحلمه وصفحه يكسر عنه شوكة عدوه ، ويكف من جزعه ، بعكس الانتقام ، والواقع شاهد بذلك أيضاً .

٨ – مشهد الجهاد :

وهو أن يشهد تولد أذى الناس له من جهاده في سبيل الله ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وإقامة دين الله .

وصاحب هذا المقام : قد اشترى الله منه نفسه وماله وعرضه بأعظم الثمن ، فإن أراد أن يسلّم إليه الثمن ، فليسلّم هو السلعة ليستحق ثمنها ، فلا حق له على من آذاه ، ولا شيء له قبله ، إن كان رضى بعقد هذا التبايع ؛ فإنه قد وجب أجره على الله .

وهذا ثابت بالنص وإجماع الصحابة رضى الله عنهم ، ولهذا منع النبى ﷺ المهاجرين من سكنى مكة – أعزها الله – ولم يرد على أحد منهم داره ولا ماله الذى أخذه الكفار ، ولم يضمّنهم دية من قتلوه فى سبيل الله .

ولما عزم الصديق رضي الله عنه على تضمين أهل الردة ما أتلفوه من نفوس المسلمين وأموالهم ؛ قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمشهد من الصحابة رضى الله عنهم : تلك دماء وأموال ذهبت فى الله ، وأجورها على الله ، ولادية لشهيد ، فأصفق الصحابة على قول عمر ، ووافقه عليه الصديق .

فمن قام لله حتى أوذى فى الله ؛ حرم الله عليه الانتقام ، كما قال لقمان لابنه : ﴿ يا بُنيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا

أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾[١] .

٩ – مشهد النعمة :

وذلك فى وجوه : أحدها : أن يشهد نعمة الله عليه فى أن جعله مظلوماً يترقب النصر ، ولم يجعله ظالماً يترقب المقت والأخذ ، فلو خُيِّر العاقل بين الحالتين – ولابد من إحداهما – لاختار أن يكون مظلوماً .

ومنها : أن يشهد نعمة الله فى التكفير بذلك من خطاياه ؛ فإنه ما أصاب المؤمن هم ولا غم ولا أذى ، إلا كفَّرَ الله به من خطاياه ، فذلك فى الحقيقة دواء يستخرج به منه داء الخطايا والذنوب ، ومن رضى أن يلقى الله بأدوائه كلها وأسقامه ، ولم يداوه فى الدنيا بدواء يوجب له الشفاء ، فهو مغبون سفيه .

فأذى الخلق لك كالدواء الكريه من الطبيب المشفق عليك ، فلا تنظر إلى مرارة الدواء وكراهته ومن كان على يديه ، وانظر إلى شفقة الطبيب الذى ركّبه لك وبعثه إليك على يدى من نفعك بمضرته .

ومنها : أن يشهد كون تلك البلية أهون وأسهل من غيرها ؛ فإنه ما من محنة إلا وفوقها ماهو أقوى منها ، وأمرُّ ، فإن لم يكن فوقها محنة فى البدن والمال ، فلينظر إلى سلامة دينه وإسلامه وتوحيده ، وأن كل مصيبة دون مصيبة الدين فهينة ، وأنها فى الحقيقة نعمة ، والمصيبة الحقيقية مصيبة الدين .

ومنها : توفية أجرها وثوابها يوم الفقر والفاقة ، وفى بعض الآثار : أنه يتمنى

---

(١) سورة لقمان الآية « ١٧ » .

الناس يوم القيامة لو أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض ، لما يرون من ثواب أهل البلاء ، هذا وإن العبد ليشتد فرحه يوم القيامة بماله قِبلَ الناس من الحقوق فى المال والنفس والعِرض ، فالعاقل يعد هذا ذخراً ليوم الفقر والفاقة ، ولا يبطله بالانتقام الذى لا يجدى عليه شيئاً .

حبس أحد السلاطين رجلاً ، فكتب إليه بعض إخوانه الصالحين : اشكر الله ثم ضُرب ، فكتب إليه : اشكر الله ، ثم قُيِّدَ هو ومجوسى مبطون بقيد واحد ، فكان المجوسى يقوم بالليل لقضاء الحاجة مرات ، وكلما ذهب معه الرجل ، فيقف على رأسه حتى يقضى حاجته ، فكتب إليه صاحبه : اشكر الله ، فقال : على ماذا أشكر الله ؟ ! ، وأى بلاء فوق ما أنا فيه ؟! فكتب إليه : لو جعل الزنار [(١)] الذى فى وسطه فى وسطك كما جعل القيد فى رجلك ما كنت تصنع ؟ فاشكر الله على سلامة الدين .

١٠ - مشهد الأسوة :

فإن العاقل اللبيب يرض أن يكون له أسوة برسل الله وأنبيائه ، وأوليائه ، وخاصته من خلقه ؛ فإنهم أشدُّ الخلق امتحاناً بالناس ، وأذى الناس إليهم أسرع من السيل فى الحدور ، ويكفى تدبُّر قصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم ، وشأن نبينا ﷺ وأذى أعدائه له بما لم يُؤْذَه من قَبْلَه ، وقد قال له ورقة بن نوفل: « لتُكذَّبنَّ ، ولتُخْرَجَنَّ ، ولتُؤْذَيَنَّ » ، وقال له : « ماجاء أحد بمثل ما جئت به إلا عُودى » ، وهذا مستمر فى ورثته كما كان فى مورثهم ﷺ ، أفلا يرضى العبد أن يكون له أسوة بخيار خلق الله ، وخواصِّ عباده ، الأمثل فالأمثل ؟! .

---

(١) تزنّر القس : شد الزنار على وسطه ، الزنار : حزام يشده النصرانى على وسطه ، والجمع زنانير .

١١ - مشهد التوحيد :

وهو أجل المشاهد وأرفعها ، فإذا امتلأ قلبه بمحبة الله ، والإخلاص له ومعاملته ، وإيثار مرضاته ، والتقرب إليه ، وقرة العين به ، والأنس به ، واطمأنّ إليه ، وسكن إليه ، واشتاق إلى لقائه ، واتخذه ولياً دون من سواه ، بحيث فوّض إليه أموره كلها ، ورضى به وبأقضيته ، وغَنِيَ بحبه وخوفه ورجائه وذكره والتوكل عليه ، عن كل ما سواه ، فإنه لا يبقى في قلبه متّسع لشهود أذى الناس له البتة ، فضلاً عن أن يشتغل قلبه وفكره وسِرُّه بتطلب الانتقام والمقابلة فهذا لا يكون إلا من قلب ليس فيه ما يُغنيه عن ذلك ويعوضه عنه ، فهو قلب جائع غير شبعان ؛ فإذا رأى أى طعام هفَّتْ إليه نوازعه ، وانبعثتْ إليه دواعيه ، وأما من امتلأ قلبه بأعلى الأغذية وأشرفها ؛ فإنه لا يلتفت إلى ما دونها ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

فمن عامل الخلق بهذه المعاملة ؛ من إقامة أعذارهم ، والعفو عنهم ، وترك مقابلتهم ؛ استوت كراهتهم ومحبتهم له ، وكان ذلك سبباً لنجاتهم الأخروية أيضاً ، إذ يرشدهم ذلك إلى القبول منه ، وتلقيٍّ ما يأمرهم به وينهاهم عنه أحسن التلقّى بعد أن أصبحوا بالنسبة له ﴿ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [(١)] ، واقتبسوا منه ومن خُلُقه وتصرفاته وحياته ، اقتبسوا خلق الإسلام ومنهجه وعاشوا على الطاعة كان له نصيب من أجورهم عند الله من غير أن يُنقَصْ من أجرهم شيء .

وقيل : مدحوا عند الفضيل بن عياض رجلاً ، وقالوا : إنه لا يأكل الخبيص [(٢)] ، فقال : وما ترك أكل الخبيص ؟! انظروا كيف صلتُه للرحم !!

---

(١) سورة فصلت الآية « ٣٤ » .

(٢) الخبيص : الحلواء المخبوصة من التمر والسمن .

انظروا كيف كظمه للغيظ !! انظروا كيف عطفه على الجار والأرملة واليتيم !! انظروا كيف حسن خلقه مع إخوانه !! .

كان محمد بن واسع يقول : لا يبلغ العبد مقام الإحسان حتى يُحسن إلى كل من صحبه ولو ساعة ، وكان إذا باع شاة يوصى المشترى ويقول : قد كان لها معنا صُحْبَة [١] .

(١) تنبيه المغترين س ٣١ .

وأخيراً النهاية :

النهاية التى لابد منها والحساب والميزان والفصل والقضاء ، لا ظلم ولا إجحاف ، قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ [(١)] ، والحبة من خردل ، أصغر ما تراه العيون وأخفه فى الميزان ، وهى لا تترك ولا تضيع ، فالميزان دقيق يشيل بها أو يميل ، فلا تظلم نفس شيئاً ، ولا يهمل مثقال حبة من خردل ، يوم يقف كل خصم أمام خصمه جنباً إلى جنب ، ووجهاً لوجه ، ففى ذلك اليوم ينادى العلى الأعلى ، لمن الفصل اليوم ؟ لمن القضاء اليوم ؟ فيجيب الخلق جميعاً طائعهم وعاصيهم ، مسلمهم وكافرهم ، قائلين جميعاً : ﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [(٢)] .

وينادى الجبار الحكَم ملك الملوك ورب الأرباب ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾ [(٣)] ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [(٤)] .

فى ذلك اليوم يحكم العزيز الحكيم بين عباده بالحق ويحكم بينهم بالعدل ، ولا يقبل الحكم استئنافاً ، ولا تمييزاً ، ولا تنفع الوسطات ، ولا تقبل الهدايا والرشوات ، حساب دقيق ، يحاسب العبد على الصغيرة والكبيرة ، ولا يظلم ربك أحداً ، وماهو بظلام للعبيد ، بل تُردُّ المظالم إلى أهلها ، ولا ينقص من أعمالنا شيئاً .

---

(١) سورة الأنبياء الآية « ٤٧ » .
(٢) سورة غافر الآية « ١٦ » .
(٣) سورة غافر الآية « ١٧ » .
(٤) سورة الشعراء الآيات « ٨٨ - ٨٩ » .

سبحانه وتعالى تعنو [(١)] الوجوه لعظمته ، وتضطرب القلوب من هيبته ، وتخشع الجوارح خوفاً من عذابه ونقمته ، وقال تعالى : ﴿ وَعَنَتِ [(٢)] الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) ﴾ [(٣)] ، وفى ذلك اليوم المشهود تقدم لكل إنسان صحيفة ، قال تعالى : ﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) ﴾ [(٤)] ، وفى ذلك اليوم العظيم تسمع شهادة الشهود ، شهود صادقين لا يرتشون أبداً ، ولا تشترى ذممهم بالمال ، ولا شك فى صدقهم ولا فى معرفتهم بالحقيقة ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) ﴾ [(٥)] ، وقالوا لجلودهم ، وقالوا لأيديهم ، وقالوا لألسنتهم ، وقالوا لجوارحهم: ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ [(٦)] ، قال الله تعالى عن إجابتهم : ﴿ أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [(٧)] ، إذ تجازى كل نفس بما عملت ، يعذب العصاه الظالمون ، وينعم المؤمنون الطائعين ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ (٧٥) ﴾ [(٨)] .

إما ارتقاء وإما هوان :

سيقف الناس جميعاً الظالم والمظلوم ، والطالب والمطلوب ، والأمير

---

(١) تعنو : تذل وتخضع .
(٢) عنت الوجوه : ذل الناس وخضعوا .
(٣) سورة طه الآية « ١١١ » .
(٤) سورة الإسراء الآيات « ١٣ ، ١٤ » .
(٥) سورة النور الآية « ٢٤ » .
(٦) ، (٧) سورة فصلت الآية « ٢١ » .
(٨) سورة طه الآيات « ٧٤ ، ٧٥ » .

والحقير ، والغنى والفقير ، لا يغنى يومئذ جاه ولا مال ، ولا ينفع عز ولا سلطان ، يقتص الله تعالى يومئذ من الظالم للمظلوم ، ومن المستعلى للمستضعف ، ومن الشاة القرناء للشاة اللجماء .

وسعد من كان أجره على الله ، وأخذه فى ذلك اليوم ، إنها أعظم ثروة ارتقاء فى درجات الجنة بمشيئة الله ، وأما من استكبر فى الأرض وآثر الحياة الدنيا واستمتع بحسناته فى كل مجال ، ومن هذه الحسنات الحسنات المهداة من ظالميه فى ظلمهم له ، فاستمتع بالقصاص وبالتشفى ويحتمل خروجه من هذا الاستمتاع الوقتى الفانى وهو ظالم جائر فى قصاصه ، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠) ﴾ [١] ، إن الفسوق هو خروج الرطبة عن قشرها ، وتفسقون هنا بمعنى تخرجون عن طاعة الله ، وتفسقون عن أمر الله ومنهجه .

إن الطاعات لها سوق عظيم ، وأعظم ما يوضع فى الميزان حُسن الخُلق ، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾ [٢] .

اللهم اغفر لى خطاياى وجهلى وإسرافى فى أمرى ، وما أنت أعلم به منى.

---

(١) سورة الأحقاف الآية « ٢٠ » .
(٢) سورة البقرة الآية « ٢٨٦ » .

اللهم اغفر لى جدّى وهزلى ، وخطئى وعمدى ، وكل ذلك عندى .

اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت .

وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس المراجـــع

١ - القرآن الكريم .

٢ - كلمات القرآن ، تفسير وبيان ، الشيخ / حسنين محمد مخلوف .

٣ - الجامع لأحكام القرآن ، القرطبى ، دار إحياء التراث العربى بيروت .

٤ - تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الحديث القاهرة .

٥ - مختصر تفسير ابن كثير ، اختصا محمد كريم راجح .

٦ - فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق .

٧ - تفسير الشعراوى ، فضيلة الشيخ / محمد متولى الشعراوى ، أخبار اليوم .

٨ - صحيح مسلم بشرح النووى ، الإمام النووى ، دار إحياء التراث العربى .

٩- صحيح البخارى ، الإمام البخارى ، دار الحديث القاهرة .

١٠ - جامع الأصول ، الإمام ابن الأثير الجزرى ، تحقيق محمد حامد الفقى ، مكتبة المعارف الرياض .

١١ - إحياء علوم الدين ، الإمام أبو حامد الغزالى ، تحقيق أبى حفص سيد بن إبراهيم ، دار الحديث القاهرة .

١٢ - الترغيب والترهيب ، المنذرى دار الريان للتراث .

١٣ - تهذيب مدارج السالكين ، الإمام ابن قيم الجوزى ، مؤسسة الرسالة .

١٤ – الظلم والظالمون ، إيمان بنت عبد الفتاح .

١٥ – الفوائد ، الإمام ابن قيم الجوزية ، دار الريان للتراث .

١٦ – تزكية النفوس ، الشيخ / أحمد فريد ، دار العقيدة للتراث .

١٧ – يوم الفزع الأكبر ، الإمام القرطبى .

١٨ – أهوال يوم القيامة ، مجدى محمد الشهاوى .

١٩ – المستخلص فى تزكية الأنفس ، سعيد حوى .

٢٠ – المنتخب من فقه الغضب ، أحمد العيسوى بن العيسوى .

٢١ – خُلق المسلم ، الشيخ / محمد الغزالى .

٢٢ – صلاح الأمة فى علو الهمة ٦/١ ، د / سيد بن حسين العفانى ، مؤسسة الرسالة

٢٣ – الجزاء من جنس العمل ٢/١ ، د / سيد حسين العفانى ، مكتبة ابن تيمية القاهرة .

٢٤ – هذا الحبيب يا محب ، أبو بكر الجزائرى ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة .

٢٥ – المحظورات ، الشيخ / ياسين رشدى .

٢٦ – مجموعة مقالات فى الأهرام بعنوان « دنيا وآخرة » د / فتحى مرعى .

فهرس الأبـواب

الموضوع	الصفحة
● المقدمة .	٥
● ﴿ ونفس وما سواها (٧) فألهمها فجورها وتقواها ﴾ .	٨
● ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ .	١٧
● ﴿ وأعتدنا للظالمين عذابا أليما ﴾ .	٢٦
● ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ .	٣٧
● ﴿ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ .	٧٠
● ﴿ وليتذكر أولوا الألباب ﴾ .	٩٣
● ﴿ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ .	٩٩
● الفهرس .	١١٧

من مطبوعات دار الإيمان

من نفحات المغفرة والرحمة

جمع وترتيب

وفاء بنت يحيى بن بدوى

غفر الله لها ولوالديها

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل

إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ـ٥٤٤٦٤٩٦

من مطبوعات دار الإيمان

خمسون نهيًا شرعيًا للنساء

جمع وترتيب

حسن زكريا فليفل

غفر الله له ولوالديه

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل

إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

من مطبوعات دار الإيمان

كيف نحل مشاكلنا ؟

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

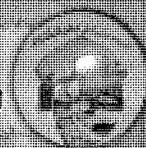
دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل

إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦





دار الإيمان ١٢ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٣٦٩ - تليفون: ٥٤٤٦٤٤٩
E-mail: dar_aleman@hotmail.com